

الجيوبولتيكس المعاصر

تحليل، منهج، سلوك



Kurdistan

البروفسور الدكتور

فؤاد حمه خورشيد

الجيوبوليتكس المعاصر

تحليل، منهج، وسلوك



حكومة إقليم كوردستان

وزارة الثقافة والشباب

المديرية العامة للعلام والطبع والنشر

مديرية الطبع والنشر- السليمانية-



بەڕێوەبەرێتیی

چاپ و بڵاوکردنەوەی

سلێمانی

الجيوبوليتكس ألمعاصر

تحليل، منهج، وسلوك

البروفسور الدكتور

فؤاد حمه خورشيد

السليمانية

٢٠١٣

الجيوبوليتكس المعاصر

تحليل، منهج، وسلوك

❖ تأليف: البروفسور الدكتور فؤاد حمه خورشيد
❖ الموضوع: دراسة
❖ كومبيوتر: المؤلف
❖ التنقيح والتصحيح: چۆمان عادل
❖ التصميم: رووپاك محمود
❖ تصميم الغلاف: جبار صابر
❖ مشرف الكتاب: كارزان عبدالله
❖ تسلسل العام للكتب: (٩٧٣)
❖ عدد النسخ المطبوعة: (٥٠٠)عدد
❖ المطبعة: المطبعة كمال
❖ السعر: ٢٠٠٠
❖ رقم الايداع (١٥٦٨) لسنة ٢٠١٣/تم منحه من قبل وزارة الثقافة

مديرية الطبع والنشر- السليمانية-
العنوان: تل المهندسين
رقم التلفون ٣١٨٠٩٩٤

الإهداء...

الى المهتمين بالجيوبوليتكس: محللين ودارسين...

المقدمة

في عام ١٩٥٧ قال الجغرافي هانس و.وكرت: (الجغرافية السياسية لهذا اليوم، ستصبح الجغرافية التاريخية ليوم غد)، وقبله قال السير هالفورد ماكندر: (ان لكل قرن منظوره الجيوبوليتيكي الخاص).

ولما كان علم الجيوبوليتكس يتطور، في تحليلاته، ويتوالف مع سمات العصر وتقلباته وتغيراته، ويرفض الفرضيات الجامدة، او الثابتة، في التحليل الجيوبوليتيكي، فان الفرضيات التي قد تصلح في زمن معين قد، لا تصلح للتحليل في زمن آخر، فعلى سبيل المثال أفرزت لنا الجيوبولتيكس الكلاسيكية جملة من المصطلحات الخاصة بهذا العلم لفترة الحرب الباردة (١٩٤٥-١٩٩٠) مثل: القوة البحرية، والقوة القارية، ودول بحرية، ودول قارية، وقلب الأرض، ومنطقة الأطراف، والشرق والغرب، والحرب بالنيابة والتي لم يعد بالإمكان استخدامها الآن في التحليلات الجيوبولتيكية لأنها لا تتوافق ومتطلبات التحليل المعاصر بسبب جملة من التغيرات الجذرية التي حصلت في السياسة الدولية وأقطابها وأقاليمها الجيوبولتيكية، وذلك لسببين:

١-ان سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩ اسقط معه كل الفرضيات الجيوبوليتيكية القديمة وحولها الى جغرافية تاريخية.

٢- بفعل التكنولوجيا وثورة المعلومات أصبحت الجغرافية لوحدها لا تضمن الأمن، كما ان الأمن لا يتأتى من القوة العسكرية لوحدها.

هناك الآن في الأوساط الأكاديمية في اوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، و دول أخرى ثورة حقيقية لبلورة فرضيات جديدة لما اخذ يعرف بالجيوبوليتكس النقدي الأكثر صلاحية للتحليل الجيوبوليتيكي المعاصر والذي هو منهج هذا الكتاب.

المؤلف



الفصل الأول

التحليل الجيوبولتيكي للحدث السياسي

الجيوبولتيكس فرع من فروع الجغرافية السياسية، لكن منهج هذا الفرع، في التحليل والاستنتاج، يختلف عن أصله لكونه يناقش ويحلل ويستنبط الأحداث السياسية والعسكرية وتغيراتها وما يرتبط بهما مستقبلا، من وجهه نظر علاقتها بأقاليمها الجغرافية، الطبيعية والبشرية والاقتصادية وبمدى تأثيرها مجتمعة في خلق الظاهرة السياسية والإستراتيجية، وربط ذلك كله بالأهمية الجيوستراتيجية للإقليم وبالقوى ذات المصلحة التي تقف خلف، او تحرك، او تؤثر بذلك الحدث وإقليمه من الداخل او الخارج. وكل حدث، سواء أكان داخل دولة، او إقليم، او قارة قد تحركه في الأساس ظروفه الداخلية الموضوعية، وهذا في الديالكتيك يدعى (جوهر الحدث)، و يأتي بعد هذا الجوهر، دور العوامل الثانوية المساعدة، او المؤججة، او المعقدة، او المعرقلة لتطور ونجاح ذلك الحدث، او بالعكس، والتي تعرف ديالكتيكيا

بـ(عامـل الحـدث)[1] وهـذان العـاملان لا يمكـن، مـن وجهـة النظـر الجيوبوليتيكية، ان يعملا ما لم يرتبطا بالبيئة (بيئة الحدث) التي يتحركـان ضـمنهما، سـواء أكانـت البيئـة محليـة، او إقليميـة، او كوكبيـة. لأن الاحـداث أصـبحت اكثـر ارتباطـا ببعضـها في عـالم اليـوم، عـالم التكنولوجيـا والمعلوماتيـة واختصـار المسـافات. فعندما تستحضر هـذه الأمور كلها لدراسة الظاهرة او الحدث يصبح الموضوع، موضوعا جيوبولتيكيا، تحليليا بامتياز.

وقـد سـاد هـذا المفهوم في التحليل الجيوبولتيكي منـذ ان ظهر المصـطلح عـام ١٨٩٩ وضـل كـذلك لعقـود مـن الـزمن. وطبقـت مفاهيمه بشكل واضح في الحرب العالمية الثانية من قبل المانيا، ثم تجددت تطبيقات مفاهيمه اثناء الحرب الباردة (١٩٤٥-١٩٩٠) مـن القـرن الماضـي ولا تـزال هـذه الأسـس التحليليـة للأحـداث السياسـية قائمـة، إذ يصـعب تجاهـل المـتغيرات الجغرافيـة في حسـابات القـوة والضـعف، او الهزيمـة والنجـاح في الصـراعات المصيرية بين القوى المختلفة على المسرح الجغرافي لهذا العـالم المضـطرب. فالجغرافيـة، كمـا يقـول بريتـون: تشـكل علـى الـدوام عامـل قـوة او ضـعف للدولـة[2]، مـع ذلـك فـان هـذا العلـم لم يبـق كلاسيكيا في الطرح والتحليل، بل ان أساليبه وتقنياته التحليلية

---

[1]- مـاو تسـي تونـغ، مؤلفـات مـاو تسـي تونـغ المختـارة، مجلد١، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، ١٩٦٨، ص٤٥٧.

[2]- Henry L.Bretton, International Relation in the Nuclear age, State University of New York press, ١٩٨٦, p.٢٥.

انتابها الكثير من التغيير بفعل الثورة التكنولوجية ومؤثراتها الباهرة في كل المجالات، بما في ذلك المجالات الثقافية، والإعلامية، والسياسية، والاجتماعية والتي ساهمت في خلق ظاهرة جديدة في صنع الأحداث السياسية وبروز عنصر المفاجأة في تلك الأحداث التي يشهدها عالمنا اليوم، وهي التغيرات الدراماتيكية التي يصبح المستحيل فيها ممكنا، ومفاجئا، مثل معظم ثورات الربيع العربي، لتخلق بدورها، بعد نجاحها او فشلها، فترات انتقال جيوبولتيكية قد تطول او تقصر. فالتكنولوجيا اليوم تمتلك إمكانية تغيير حالة القوة سواء على نطاق الدولة الواحدة، او في كامل القارات.[٣] من هنا تأتي معارضة المدرسة الجيوبولتيكية الجديدة والتي تعرف بالجيوبولتيكيا النقدية (Critical Geopolitics) للأسس الجغرافية التقليدية في التحليل والاستنتاج الجيوبولتيكي الكلاسيكي،الذي ضل يفسر الأحداث العالمية او الكوكبية على ضوء ما يشبه نظرية الحتم الجغرافي أولا، ولاعتقادها بان للتكنولوجيا المعاصرة اليوم دور هام ومؤثر في قلب موازين قوى الأحداث السياسية الداخلية للدول، وبخاصة تكنولوجيا الإعلام والاتصالات والانترنيت التي اقتحمت البيوت من غير استئذان من الرقيب او من السلطات الدكتاتورية الحاكمة،

---

[٣]- Ibid, p.٤٦.

ولا يمكن إيعاز أسباب كل تلك التحولات، حتى المفاجئة منها، الى العوامل الجغرافية البحتة لوحدها.

فالجيوبوليتكس، كمنهج وأسلوب تحليلي، كما يقول سول برنارد كوهن، هو وليد عصره، او زمانه وهو يتطور تبعا لذلك، فجيوبوليتكس اليوم سيصبح تاريخا في يوم غد، وعليه فان كل حدث تاريخي يشكل وصفا جيوبولتيكيا لزمانه.[٤]

في الواقع، ليست ثورة المعلومات والتكنولوجيا المرافقة لها، هي العامل الحاسم في خلق المفاجأة السياسية، رغم كونها عاملا مساندا، باعتبارها وسيلة ثانوية او طارئة والتي اسماها (ماو تسي تونك) في حينها بالتبدلات الطارئة على المجتمع، فأطروحات ماو الديالكتيكية تدعو الى دراسة تطور الشئ (الحدث) من باطنه (داخله) من حيث علاقته او صلته بالأشياء الأخرى التي تحيط به، ويتبادل معها التأثير. فالباعث الأساسي في تطور الأشياء (الأحداث) يكمن في باطنها لا في خارجها، أي في تناقضها الداخلي، لان الباطن يشكل جوهر الحدث، أما العلة او التأثير المتبادل بين شئ وأخر، فهي علة ثانوية، بمعنى أنها تشكل عاملا مساعدا لذلك الحدث الذي قد تؤثر فيه او تحفزه.

٤-Saou Bernard Cohn, (Geopolitics: The Geography of International relations), Rawman&Littlefield publishers, Lanham, Boulder, New york, ٢٠٠٩, p.١١.

عادت الحياة للتحليلات الجيوبولتيكية في السبعينات من القرن الماضي، بعد أن شهدت ركودا خطيرا بعد الحرب العالمية الثانية، لعدة عقود من الزمن. ومع إن العديد من المصادر تعرف هذا النهج في التحليلات السياسية المعاصرة وتمنحه خصائص محددة في الأسلوب التحليلي واللأستنتاجي، لكن الجيوبولتيكس، هو الأخر، شهد العديد من المنهجية في التحليل للأحداث والتطورات العالمية منذ أن ظهر هذا المصطلح عام ١٨٩٩، لكنه يبقى، مع ذلك، الأسلوب الأكثر واقعية، ومصداقية، وجاذبية في التحليلات السياسية لمشكلات العلاقات الدولية وتطوراتها، وتكتلاتها، وأقاليمها،ومصادر قوتها.

يعتمد التحليل الجيوبولتيكي، للمشكلات العالمية والإقليمية والمحلية، على أرضية جغرافية بالدرجة الأساس، وليس المطلق، وارتباطاتها وانعكاساتها على الحدث السياسي المراد تحليله، وكما يقول سبايكمن (ان طبيعة المشكلة التي تؤخذ بنظر الاعتبار هي التي تحدد، ليس فقط طبيعة التحليل الجغرافي، بل كذلك حجم المنطقة التي يجب تحليلها). وتبعا لذلك فان كل من لا يمتلك القدرة الجغرافية في التحليل، لا يمكن أن يكون محللا جيوبولتيكيا ناجحا، مهما أوتي من مقدرة على التنبؤ السياسي، لان جوهر الجيوبولتيكس يكمن في دراسة العلاقة القائمة بين سياسة القوة والمقومات الجغرافية الضامنة لبناء تلك القوة وبالتالي مكانة الدولة ووزنها فوق المسرح الجغرافي العالمي. لذا،

فالعوامل أو المتغيرات الجغرافية، قديما وحديثا، كانت تمثل المسرح الذي يوجه الأحداث، ويؤثر فيها، ويحدد مصائرها، وهذه المتغيرات تشتمل على اختبار البيئة الطبيعية، والسكانية، والموارد الطبيعية، وطرق المواصلات المختلفة، والمستوى الثقافي والتقني، والخزين من موارد الثروة الطبيعية الكامنة ودرجة استثمارها.

وللتدليل على الدور الفعال للمتغيرات الجغرافية في صنع، أو التأثير، في الحدث الجيوبولتيكي، نورد على سبيل المثال أراء بعض المشاهير في الجيوبولتيكس:

فقديما قال نابليون بونابرت- (إن سياسة الدولة تكمن في جغرافيتها)[٥]. وقال فردريك راتزل أن (الجيوبولتيكس هو الجغرافية المسخرة لخدمة سياسة الدولة)[٦]. وأكد كارل هاوسهوفر، أن (الجيوبولتيكس سيكون، بل يجب أن يكون، الضمير الجغرافي للدولة)[٧]. وأشار سول كوهن: (أن جوهر الجيوبولتيكس يكمن في دراسة العلاقة القائمة بين سياسة القوة الدولية والخصائص الجغرافية المنسجمة معها، وبخاصة تلك

٥-The principle of Geopolitics and the case of the Greek place in south- east Mediterranean,p. ٣٩٧ ,in www.geopolitics-gr/pdf/art-imaz-geo٣en.pdf

٦ -ibid

٧ - ibid

التي يمكن أن تتطور بموجبها تلك القوة).[8] وعموما يركز المنهج التحليلي في الجيوبولتيكس على منطق القوة في العلاقات الدولية، سواء كانت تلك القوة صلبة أم مرنة، ومن مختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية وحتى الحضارية، سواء أكانت القضية أو المشكلة المبحوثة، تقع ضمن نطاق محلي، أو إقليمي أو دولي. و(المشكلة الجيوبولتيكية) لا يمكن أن تكون عالمية فقط، وهذا ما يعارضه بحدة، منتقدوا الجيوبولتيكس الكلاسيكي مثلما هو وارد في الأدبيات الجيوبولتيكية الكلاسيكية (كما عند ماكندر وسبايكمن)[9] بل يجوز أن تكون المشكلة محلية أو إقليمية أو دولية، ولكل مشكلة من هذه المشكلات مسبباتها ومؤثراتها وتعقيداتها الإقليمية والدولية.

والمشكلة الجيوبولتيكية هي القضية، أو المعضلة التي تنشأ، وتتطور، وتتعقد بفعل العوامل الجغرافية–السياسية الداخلية، مشكلة (جوهر الحدث) والتي قد تتأثر بجملة من العوامل الإقليمية والدولية، التي تشكل بمجموعها (عامل الحدث) الذي يتحرك أو يتغير بفعل أهمية المكان وموقعه الإستراتيجي وموارده

-٨-Soul Cohen, Geography and politics in a world divided, Oxford University Press, New York, ١٩٦٣, p.٢٠.

-٩ انظر :Halford J.Mackinder,The geographical Pivot of History,Geographical journal,vol.٢٣,١٩٠٤, and,Nicholas John Spykman,The geography of peace,Anchon book, New York,١٩٤٤..

الاقتصادية وخصائصه البشرية، وعلاقة كل ذلك بمصالح القوى الأخرى.

ولا جدال في ان التكنولوجيا المتقدمة اليوم ونتائجها الخلّاقة، سواء أكانت للأفراد او الدولة، هي عامل فعّال في اي تحليل للسياسات الدولية والإقليمية، لان مستوى أي دولة في الناحية التكنولوجية المرتبطة بقدراتها العسكرية والاقتصادية، يعكس سمعتها ومكانتها الدوليتين، بل ان التكنولوجيا نفسها أصبحت من متطلبات أية دولة تطمح ان تكون دولة قوية، ولكل شعب مثقف واع لحماية وجوده وكيانه السياسي.

والاهم في كل ذلك هو مؤثرات التكنولوجيا الاجتماعية والإعلامية التي غدت اليوم عاملا يتجاوز كثيرا مؤثرات العامل الجغرافي في التأثير في الحدث السياسي وتحريكه، كما فعلت أجهزة الاتصال الحديثة الميسرة (الانترنيت، ومواقع الفيس بوك، و تويتر و يوتيوب، وأجهزة الاتصال الأخرى) في إثارة الرأي العام في بعض البلدان العربية وتأليبها على حكامها فيما يعرف الآن في الإعلام الغربي بـ(الربيع العربي)، وكذلك دورها في مساعدة تطوير تكتيكات العمليات الخارجة عن سيطرة الدولة والتي تعرف الآن بـ(الإرهاب) .

لذا فان اي حدث، او قضية، او مشكلة جغرافية- سياسية داخل أية دولة، يمكن أن تتعقد، أو تتطور بفعل عامل الحدث، إذا ما تدخل فيها عامل إقليمي أو دولي او اكثر، وتتحول من (مشكلة

جغرافية- سياسية) الى (مشكلة جيوبولتيكية)، قد تفضي الى نتائج دراماتيكية حاسمة كما حصل في انفصال بنغلادش عن باكستان (٢٦ اذار١٩٧١)[١٠]، وانفصال اريتريا عن اثيوبيا (٢٣ مايس ١٩٩٣)، واستقلال تيمور الشرقية عن اندونيسيا (٢٣ مايس ١٩٩٣) وانشطار السودان الى دولتين (٩ تموز٢٠١١)، وانشطار يوغسلافيا الى عدة دول بعد عام ١٩٩١، و جيكوسلوفاكيا الى دولتين (١ كانون الثاني ١٩٩٣)، او تؤدي الى تعطيله، كما هو حادث في سوريا بسبب الموقف السوفيتي. وكما يقول سبايكمن (ان طبيعة المشكلة التي تؤخذ بنظر الاعتبار هي التي تحدد، ليس فقط طبيعة التحليل الجغرافي، بل كذلك حجم المنطقة التي يجب ان تحلل).[١١]

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن المحلل الجيوبولتيكي يجب أن يتحلى عن غيره من المحللين السياسيين بعدة خصال أو قدرات أبرزها:

١- أن يمتلك ذخيرة جغرافية طبيعية وبشرية واقتصادية، عن الحدث المحلي أو الإقليمي أو الدولي، الذي يتناوله بالتحليل.

٢- أن يتمتع بعقلية سيناريوهية، وأن يمتلك قدرات التفكير أ والتخطيط السيناريوهي، بمعنى أن تكون لديه المقدرة على

١٠- فؤاد حمه خورشيد، بنكلادش بين الهند وباكستان، جريدة التآخي، العدد ٩٠٩ في ١٩٧١/١٢/١٢. و أضواء على حرب الهند وباكستان، جريدة التآخي، العدد٩١٥ في ١٩٧١/١٢/١٩.

١١- Nicholas John Spykman,op,cit.,p.١٩

تحديد أي العوامل الجغرافية أو البيئية التي تؤثر على (المشكلة) مستقبلا بالدرجة التي يمكن إن تحدد اتجاهاتها أو مصيرها. مع ملاحظة إن مثل هذه العوامل أو المتغيرات (variables) قد يتغير تأثيرها، هي الأخرى، على ضوء التطور التكنولوجي وتغير موازين القوى والأقاليم الجيوبولتيكية، (الحالية أو المستقبلية) المؤثرة في الحدث، رغم كون العوامل الجغرافية وعناصرها ثابتة لا تتغير.

٣- أن تكون لديه بصيرة جيوبولتيكية، وفهم اختراقي، أي أن يتمتع بمهارة الاختراق برؤيته لما في داخل الحدث أو المشكلة والكواليس المحيطة بها من خلال ربط الإحداث، وقراءتها .أو حل شفراتها السياسية، وان يتخلى عن النزعة العاطفية في التحليل، بمعنى أخر، إن تكون لديه القدرة على التنبؤ، والتنبؤ هنا لا يعني الاختراع، بل يعني تصور النتيجة المحتملة، التي يقترن بها الحدث، في لحظة معينة، انطلاقا من المعطيات القائمة التي استند عليها في الربط والتحليل والاستنتاج.

٤- أن يأخذ بنظر الاعتبار، عند التحليل الجيوبولتيكي، تحديدا، طبيعة النظام الدولي وتوجهاته، وأقاليمه الجيوبولتيكية ودور القوى الكبرى الرئيسة المؤثرة ومصالحها، وملاحظة مدى تأثر أو علاقة تلك المصالح بالمشكلة المدروسة من خلال ربط الأحداث وقراءة او حل شفراتها السياسية، وبخاصة بعد إن مال المجتمع الدولي لتقبل الرضوخ لتوجهات وتطلعات القوة العالمية

المتفـردة في فـرض السياسـات الدوليـة وهيمنتهـا ومسـاراتها العالميـة، ولـذا، فعلـى الـذين يريـدون تحليـل وفهـم الأبعـاد الجيوبولتيكيـة للمشـكلات المحليـة والإقليميـة والعالميـة ذات العلاقة بالأمن الدولي، يجب عليهم استيعاب المفاهيم الأساسية، هذه، في التحليل الجيوبولتيكي.

٥- وهو يتكئ على معلوماته الجيوبولتيكية لبيئة الحدث وما حولهـا، في التحليـل والتفسـير والاسـتنتاج، عليـه أن لا يغفـل تكنولوجيا عصـره، فقد سبق لماكنـدر ان نبهنـا بـان كل قرن لـه منظـوره الجيوبـوليتيكي الخـاص[١٢]، فالتكنولوجيـا المتطـورة الخلاقـة هـي ابـرز سمـات هـذا القـرن والأكثـر انقلابيـة وتـأثيرا في الحيـاة البشـرية في القـرون اللاحقـة بالتأكيـد. لقـد سـاهم الإنسـان بتكنولوجيته ان يحد من آلية الحتم الجغـرافي، لكـن تكنولوجيتـه في مجال الاتصالات والإعلام وسرعة نقل المعلومات أصبح لها تـأثير جـوهري وفعـال في نشـر الثقافـة ونقـل الأفكـار وتأجيجهـا، بل وفي صـنع بعـض الأحـداث السياسـية، او التمهيـد لهـا، او قلبهـا رأسـا علـى عقـب، كمـا هـو حاصـل في بعـض بلـدان مـا يسـمى بـالربيع العربي.

لـذا فـان أي تحليـل جيوبـوليتيكي يجـب أن يأخـذ بالحسـبان ثلاثة مفاهيم او أبعاد هي باختصار:

---

[١٢] -Donald W. Meinig, (Heartland and Rim land in Eurasian history),West political Quarterly, Vol.٩,١٩٥٦,p.٥٥٣.

أ – تحليل (جوهر الحدث)، اي المشكلة القائمة، سواء أكانت داخل دولة معينة أو ضمن إقليم اوسع، ومعرفة مسبباتها الداخلية (جغرافيا وسكانيا واقتصاديا وحضاريا) وربط ذلك بسياسة الدولة ذات العلاقة بالمشكلة، ومعرفة انعكاسات المشكلة على المحيطين الإقليمي والدولي، لأن الربط بين الحدث وإطاره الجغرافي المحلي، وانعكاساته، من ضرورات التحليل الجيوبولتيكي.

٢– تحليل (عامل الحدث) أي دور القوى أو العوامل التي من شأنها تأجيج ذلك الحدث والتدخل فيه (إقليميا أو دوليا) بمختلف الوسائل والتقنيات باتجاه التصعيد أو نحو إيجاد الحلول (التدخلات الخارجية). فبدون ذلك التحليل لا يمكن فهم حقيقة جيوبولتيكية الاحداث، أي تعقد المشكلات الإقليمية أو الدولية وحتى المحلية.

٣– تحليل (بيئة الحدث) أو (اللاعبون الخارجيّون)، أي تحليل المشكلة القائمة، ضمن إقليمها الجغرافي الجيوبولتيكي، الإقليمي والعالمي، وعدم تجاهل او إغفال دور هذه البيئة ولاعبيها على طبيعة الخطوات اللازم اتخاذها في كل موقف مستجد، او إزاء أي تعقيد جيوبوليتيكي قد يحصل، وانعكاس كل ذلك على الأمن المحلي والإقليمي والدولي وعلى طبيعة توازن القوى واصطفافها، ودرجة تأثيرها على التشكيلات القائم (للأقاليم الجيوبولتيكية) المحيطة بها، وطبيعة التحالفات والعلاقات

القائمة بين الدول، أو قوى تلك المنطقة، ومن ثم على مصالح القوى الأكبر، لأن الربط بين جوهر، وعامل، وبيئة الحدث أصبحت من الأمور الجوهرية في التحليل الجيوبولتيكي المعاصر الناجح، ولعل التعقيد الحاصل في المعضلة الجيوبولتيكية السورية هي النموذج الصارخ لدور (بيئة الحدث)، الدولية (روسيا والصين)، والإقليمية (ايران)، والذي أدى الى تعقيد الوضع، وصعوبة إيجاد توافق دولي لتغيير النظام السوري وانتصار الثورة. من هنا يجب ان نؤكد على قول الأستاذ كولن كري (Colin S. Gray) : ان قوة الجيوبولتيكس تكمن في انه يضع الحدث المحلي، او الحدث المضاد له، ضمن بيئته العالمية، لذا فهو يؤكد على الذين يريدون ان يفهموا الأبعاد الجيوبولتيكية للأمن العالمي يجب عليهم ان يستوعبوا الأفكار الجوهرية للجيوبولتيكس"[١٣].

يعتبر الأسلوب، او المنهج، الجيوبولتيكي لتحليل الحدث السياسي بالنسبة للمتخصص، وصفة علمية للبيئة السياسية التي تشكل شروط السياسة الدولية او الإقليمية، وبذلك فهو يشكل حقلا معرفيا ذو صلة بالجغرافية من جهة، وبالتطورات التكنولوجية، والتغيرات الاقتصادية العالمية، وتغير موازين القوى العالمية، وتغير الانظمة السياسية والفكرية من جهة ثانية، ومن هذا الفهم يجب ان نفسر بروز الانظمة الليبرالية المعاصرة

---

[١٣]-Colin Gray, (The geopolitics of the nuclear era) ,Crane, Rusak, New York,١٩٧٧

التي تبني قوة دولها من خلال علاقاتها التجارية وتزايد قدراتها وكفاءتها الاقتصادية وتحالفاتها الاستراتيجية، وليس من خلال ساستها الاستعمارية الاحتلالية، وسيطرتها المباشرة على الاقاليم.

وينبغي التأكيد في التحليل الجيوبولتيكي على التأثير المتبادل بين المجال والسياسة (space and politics) والمجال بمعناه الجغرافي الواسع يعني:

١- المنطقة (أو الإقليم أو الدولة) وخصائصها الجغرافية التي تمثل مكامنها الجيوبولتيكية.

٢-الفهم التاريخي لتلك المنطقة التي تشكل السلوك السياسي و التراث الحضاري للمنطقة المدروسة، لأن السياسة في العلاقات الدولية بمعناها الواسع تعني (القدرة على التأثير)، وهي لا تنحصر فقط في السياسات المتبادلة بين الدول، بل تتضمن. ممثلين سياسيين آخرين على المستوى العالمي مثل الشركات العالمية، المجتمعات الدينية، والتنظيمات السرية. و آخرين على المستوى الداخلي مثل الوحدات الإقليمية، والنخب السياسية، والمجموعات الاجتماعية والاثنية والإعلام، لذا فالتحليل يجب ان يركز على الحالة المكانية والتصور الشخصي والمنظور التاريخي لها.[١٤]

---

[١٤]- Wojciech Kazanecki,Is geopolitics a good method of explaining world events? Case study of French foreign

ان هـذا الانتقـال في الـتفكير الجيوبـولتيكي للتحليـل، جعـل الجيوبولتيكيين النقديين ينظرون الى العلاقات الدولية نظرة اكثر واقعية، في عصر التكنولوجيا والمعلوماتية والإعلام البرقي الـذي حتم ابتكار أساليب وأفكار جيوبولتيكية تحليلية تتوافق مع كل هذه التغيرات. لذا يقول كلاوس دودز (ان الجيوبولتيكس النقدي، كمنهج لدراسة العلاقات الدولية، يمكن ان يفهم على انه أشبه بنظرية العلاقات الدولية الاستدلالي)[١٥].

الجيوبـولتيكس النقـدي، تبعا لـذلك، لا يعـني إهمـال الهيكليـة العامة لطبيعة الأقاليم الجيوبولتيكية السابقة او إلغائها، بل يظل يعنـى بالأهميـة الجيوبولتيكيـة الشـمولية للإقلـيم الجيوبـولتيكي القديم، لكنه يتفاعل مع الـتغيرات الـتي تحـرك الوحـدات السياسـية داخل هذا الإقليم، سواء أكان التغيير ضمن سياسة الدولة الواحدة فيه، او على صعيد الحراك الجماهيري في تلك الوحـدات او الـدول، واستشـراف انعكـاس ذلـك علـى مصـير ذلـك الإقلـيم وارتباطاتـه العالمية.

وعلى سبيل المثال، فان الشرق الأوسط، كإقليم جيوبوليتيكي مركب (غير منسجم) وقديم، بقـي رغـم كل الـتغيرات الـتي طـرأت في السياسة الدولية، يتمتع بموقعه الجغـرافي الخطير، لا لكونـه يمـنح اتصالات بحرية وطرق تجارة هامة، او لوقوعه ضمن مناطق نفوذ قوى عظمى، بل لقيمتـه السـتراتيجية الـتي ازدهـرت بسـبب وجـود

---

policy, paper, Institute of international studies, University of Wroclaw, (Poland), pp.٤-٥.

[١٥]-Klaus J Dodds. Geopolitics, experts and the making of foreign policy, Area, Vol.٢٥,No.١,March١٩٩٣,pp.٧٠-٧٤-

ثروته البترولية واحتياطها الهائل في عالم أصبح يعتمد في اقتصاده وعسكرته على هذا المورد الاستراتيجي الهام. لذلك تحولت منطقة الخليج فيه الى احد اهم مناطق اهتمام الإستراتيجيات العالمية والإقليمية وقادت الى صياغة أنماط معقدة من التحالفات مع كياناته السياسية (دولة).

بعد انتهاء الحرب الباردة وظهور موجة العولمة لوحظ وجود ضعف في التحليلات الجيوبولتيكية للأحداث الدولية القائمة على التفسير الجيوبولتيكي الكلاسيكي، او التقليدي، حتى ان البعض اعتقد بتلاشي دور الجغرافية في تغيّر الأحداث باعتبار ان العلاقات الدولية أصبحت تحدد بشكل متزايد بالأسواق العالمية، والاتصالات الالكترونية، والتجارة الحرة، وتحرك رؤوس الأموال، وتلاشي دور الحدود بين الدول، لذلك نادى بعض المتشائمين بزوال المسافات[١٦]، ونهاية الجغرافية[١٧]. لكن هذا بطبيعة الحال أمر مبالغ فيه، وغير صحيح.

يقول فيرنون فان ديك: (ان دراسة الموقع والحجم (للدولة) يجب ان يرتبطا بالتطور التقني ومستوى التقنية، فالاتصالات أفقدت معظم العوامل الجغرافية خصائصها أو فوائدها كمواقع

---

[١٦]-Frances Cairncross ,The death of distance, How the communications revolution will change our live, Cambridge ,M.A. Harvard Business school press,١٩٩٧.

[١٧]-Richard O'Brien, Global financial integration. The end of Geography, London, ١٩٩٢.

دفاعية، فحتى الجبال والبحار فقدت أهميتها السابقة وأصبحنا بحاجة الى دفاعات جديدة).[١٨]

أما اندرو باسيفيتش فيقول (كنتيجة لثورة المعلومات، انهارت المسافات، وبات العالم يصبح أصغر فأصغر، وكادت المسافات تفقد معناها التقليدي في عصر المعلومات. ان فكرة كون المحيط يشكل حماية هي فكرة أثرية مثل الخندق المائي الذي يحيط بالقلعة).[١٩]

صحيح، لقد كان للثورة التكنولوجية المعاصرة أهمية بالغة، لأنها ألغت، او بالأحرى اختزلت، المسافة بسبب هذا التطور الهائل في مجال تقنيات الاتصالات بمختلف أشكالها، فقد كان لهذا تأثير بالغ الأهمية على المستوى السياسي ما دامت المسافة تشكل دائما مصدرا للحكم خلال قرون طويلة، خاصة وان سلطة الدولة تقوم جزئيا على المسافة Distance، لأنها هي التي تعطي معنى للحدود الوطنية و الوظيفة الوسيطة للدولة منذ ان بدأ الأفراد يبحثون عن الاتصال مع الآخرين. وبتضافر كل الحواسيب ووسائل الاتصال عن بعد، جعلتنا داخل جماعة كونية، سواء أحببنا أم كرهنا. فلأول مرة يرتبط كل من الغني والفقير، والشمال والجنوب، والشرق والغرب، والمدينة والقرية

---

[١٨]-Vernon Van Dyke, International Politics, Third Edition ,Meredith Corporation, New york,١٩٧٠,p,٢٢٦.

[١٩] -اندرو باسيفيتش، الإمبراطورية الأمريكية, الدار العربية للعلوم, بيروت, ٢٠٠٤, ص, ٥٧.

بشبكة الكترونية عالمية أو يتشاركون في رؤية صور وقت حدوثها، وتتحرك الأفكار عبر الحدود وكأنها غير موجودة، وفي الواقع تحولت الى مناطق للوقت أو الزمن time zones اكثر اهمية من كونها وظيفة حدود.[٢٠] أو كما يقول كلاوس دودن:(ان المسافة بين الأماكن حول العالم قد تقلصت بفعل طبيعة وسرعة تكنولوجيا الاتصالات، فالتلفزيون قاد الى تحويل المسافة الجغرافية الى مسافة زائفة)[٢١]، وهذا صحيح في نقل الأفكار والصور وتباين الرؤى، لكنه لا يصح على الواقع المكاني الجغرافي للمسافة في موازين القوى، والدليل على ذلك هو ان قوة عظمى مثل الولايات المتحدة لم يكن بوسعها،مع كل ما تملكه من تقنيات وتكنولوجيا، من ان تفعل ما فعلته في العراق لو لم تساندها دول المحيط الجغرافي للعراق بسبب البعد الجغرافي، وموقع العراق الجغرافي والمسافة التي بينهما Distance . ولكي نكون منصفين فان الجغرافيين السياسيين اشاروا قبل اكثر من نصف قرن من الآن في دراساتهم، واخص بالذكر منهم الأستاذ هانس وكرت، الذي أكد وقال بصراحة وبفكر ثاقب: ان الجغرافية السياسية لهذا اليوم هي الجغرافية التاريخية ليوم غد. (The political

[٢٠] - سعيد الصديقي، الدولة في عالم متغير: الدولة الوطنية والتحديات العالمية الجديدة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٠٨، ص٤٤.

[٢١]- Klaus Dodds, Geopolitics in changing world, Prentice Hall,London,٢٠٠٠,p.٢٥

geography of today will be the historical geography of tomorrow).[٢٢]

لذا، فعلى الذين يريدون تحليل وفهم الأبعاد الجيوبولتيكية للمشكلات المحلية والإقليمية والعالمية ذات العلاقة بالأمن الدولي، والاقليمي، او المحلي يجب عليهم استيعاب المفاهيم الأساسية، هذه، في كتابة تحليلاتهم الجيوبولتيكية، وان يضعوا امام أعينهم الملاحظتين التاليتين في تحليلهم الجيوبولتيكي:-

١- ان سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩ أدى الى سقوط كل الفرضيات الجيوبولتيكية القديمة وحولها الى جغرافية تاريخية.

٢-بفعل التكنولوجيا أصبحت الجغرافية لوحدها لا تضمن الأمن، كما ان الأمن لا يتأتى من القوة العسكرية لوحدها.

-[٢٢] Hans W. Weigert and others,(Principle of political Geography), Appleton-centaury-Crafts, ١٩٥٧,p.٢٠.

الفصل الثاني

الجيوبولتيكس النقدي
والربيع السياسي لبعض البلدان العربية

توجد الآن في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة منطلقات بحثية جديدة لدراسة وتحليل الجيوبولتيكي من منظور معاصر يطلق عليها اسم (الجيوبوليتكس النقدي أو الأنتقادي – Critical Geopolitics)، او كما يسميها تايلور بـ(الجيوبوليتكس البديلة Alternative Geopolitics)[٢٣]، أو(الجيوبولتيكس الارثيذوكسية – Orthodox Geopolitics)[٢٤] كما يطلق عليها (اوتوثل). ومن ابرز كتاب هذا

[٢٣] -Peter J.Taylor and Colin Flint, Political Geography:World-Economy,Nation State, and Locality, Prentice Hall,London,٢٠٠٠,P.١٠٢.

[٢٤]- Gearoid o Tuathail, (Understanding Critical Geopolitics: Geopolitics and risk society), in: Colins S.Gray and Geoffrey Sloan, (Geopolitics Geography and strategy), Frank Cass, ١٩٩٩, p-١٠٨.

الـنهج الجديـد هـم: جيرويـد أوتوثـل[٢٥]، جـون أولـوغلن[٢٦]، جـون اكنيو[٢٧]، كلاوس دودز[٢٨]، وسيمون دالبي.[٢٩]

تشكك هذه المجموعة من الباحثين الجيوبولتيكيين بالمفاهيم الجيويوليتيكية (التقليدية)، بما في ذلك نظمها الكوكبية، لأنها مبنية فقط على اساس القوة في العلاقات الدولية، ويعتقدون بأن دراساتهم لا تؤسس لمدرسة جديدة في الفكر الجيوبولتيكي، بل يرون فيها مجموعة واسعة من الأفكار المترابطة الساخطة على مفاهيم القوة المجردة في التحليل الجيوبولتيكي السابق.

أن أصحاب الجيوبولتيكس النقدي او الانتقادي يرون، أيضا، ان هناك العديد من المتغيرات الجديدة التي هي خارج نطاق المقومات الجغرافية بدأت بأداء فعلها المؤثر الى الأحداث السياسية، وهنا يدخل العامل التكنولوجي وبخاصة تكنولوجيا الإعلام والاتصالات ثم ظاهرة الثقافة التكنولوجية العالمية، والعولمة، والثورة المعلوماتية التي اقتحمت كل البيوت في دون استئذان للسلطات والدكتاتوريات الحاكمة، وبخاصة في الدول النامية، باعتبارها ثقافات عابرة للحدود.

---

[٢٥] Gearoid O, Tuathail. : أستاذ في معهد فرجينيا وجامعة الولاية.
[٢٦] - John O'loughlin: أستاذ في جامعة كولورادو.
[٢٧] - John A. Agnew: أستاذ في جامعة كاليفورنيا – لوس أنجلس.
[٢٨] - Klaus Dodd's: أستاذ في جامعة لندن، كولورادو.
[٢٩] - Simon Dalby: أستاذ في جامعة كارلتون / كندا.

بواعث المدرسة:

نشأت هذه المدرسة بسبب نقدها المرير لكون الجيوبولتيكس التقليـدي كـان يعتـبر (الجغرافيـا) العنصـر المهـم الوحيـد في ممارسـات وتطبيقـات القـوة في العلاقـات الدوليـة وفي السياسـة الخارجيـة للـدول. لـذا يقـول اوتوثـل: ان الجيوبـولتيكس النقـدي يقف علـى النقيض مـن ذلـك لأنـه مشـروع نظـري مشـكلاتـي يضـع الهياكل القائمة لمكون القوة والمعرفة محل اختبار وتحليل، عكس القوالب السابقة المتحجرة.[٣٠]

ويرى كلاوس دودز ان هناك خمسة موضوعات لابـد ان تؤخـذ بنظر الاعتبار في التحليلات الجيوبولتيكية المعاصرة هي:[٣١]

١. انتهاء الحرب الباردة.
٢. الشركات المالية والمعلوماتية الطاغية.
٣. التجزئة والدولة ذات السيادة.
٤. التكتلات الإقليمية.
٥. وسـائل الإعـلام وحـالات الطـوارئ الإنسـانية (الكـوارث) والحروب. ونضيف إليها

[٣٠]- Gearoid O Tuathail, (Understanding Critical Geopolitics, op-cit, p.١٠٧.
[٣١] Klaus Dodds, (Geopolitics in changing world) Pearson Education, London New York, ٢٠٠٠, p.١٠.

٦. النظام الدولي–هيئة الأمم ومجلس الأمن .

من هنا يتضح ان كل المهتمين بالجيوبولتيكس الانتقادي يركزون على دور تكنولوجيا الإعلام في تحفيز وتشجيع السكان (الناس) علي القيام بأفعال سياسية محددة، وفي هذا المجال يقول دودز أيضا: هناك سمة جديدة في تكنولوجيا وسائل الإعلام والاتصالات غيرت من سرعة وكثافة التغيرات السياسية الكوكبية لأنها تخلق قدرة للمتابعين من الأكاديميين والسياسيين في تفسير وتوضيح أوضاع العالم، فالمسافات حول العالم غيرتها طبيعة وسرعة تكنولوجيا الاتصالات، فالتلفزيون، حسب راي البعض، حول المسافة الجغرافية الى مسافة كاذبة[٣٢].

ويرى اوتوثل ان الجيوبولتيكس ليس علماً انفرادياً، بل هو علم جماعي وعلم واسع اجتماعياً وحضارياً، لذا فهو اكبر في ان يقرر نتائجه رجل واحد، كما في الجيوبولتيكس التقليدي، لأن ذلك يتطلب دراسة حالات تقع خارج حدود الدولة أو في داخلها[٣٣].

ويضيف كلاوس دودز أيضا: يحاول العديد من الباحثين، سعيا وراء إيجاد تعريف محدد للجيوبوليتكس، كممارسة

---

٣٢ - Klaus Dodds, Op.Cit, p.٢٤-٢٥.

٣٣- Gearoid o Tuathail and Simon Dalby. (Introduction: Rethinking Geopolitics) in: Rethinking Geopolitics, EDT. Gearoid O Tuathail and Simon Dalby, London, New York, ١٩٩٨, p .٣.

منطقية، التركيز على كيفية استنتاج عواقب الأحداث التي من خلالها يستطيع مختصوا او مخططوا الأمن اقلمة السياسة الدولية او تحديد توجيهاتها مكانياً، وفي هذا المجال يقول ان هناك نوعين من الجيويوليتكس:

الأول يعتمد على الجيويوليتكس الشكلي او المنهجي (Formal Texts) وهي الآراء التقليدية الخاصة بمنظري الجيوبولتيكس التقليدي.

والثاني: الجيوبوليتكس العملي (practical) الذي يستنتج عواقب الأحداث بعد وقوعها ليصاغ منها الخطاب الخاص بالسياسة الخارجية.[٣٤] وهو ما يتبناه كتاب الجيوبوليتكس النقدي. أي انهم استبعدوا كلية ما آلت إليه نظريات ماكندر، وسبايكمن، ودي سيفرسكي الكوكبية التي كان العالم يجد تطبيقاتها الحادة في سنوات الحرب الباردة ١٩٤٥ – ١٩٩٠. والتي اصبحت فرضياتها اليوم ضمن الجغرافية التاريخية.

ولا يتوقف الموضوع عند هذا الحد، بل ان الجغرافي الفرنسي دومنيكو مويسي(Dominique Moisi)، في كتابه Geopolitics The of emotions[٣٥] يرى ان جيوبولتيكية العواطف، هي الأخرى، تلعب دورا بارزا في تحريك السلوك السياسي البشري، ويرى ان

---

[٣٤]- Klaus J.Dodds, (Geopolitics, experts and the making of foreign policy) Area, vol.٢٥, No.١ march ١٩٩٣, p.٧١.

[٣٥]- راجع عرض الكتاب باللغة العربية: فؤاد حمه خورشيد ,جيوبولتيكية العاطفة, جريدة الاتحاد, العدد ٣١٦٣ في ١٩-١-٢٠١٣.

الصراعات العاطفية اليوم برزت لتعبر عن الهوية القومية في عالم العولمة، حتى بدت وكأنها ذات تأثير هام على الجيوبوليتكس. فالعواطف (Emotion)، حسب رأيه، تعكس درجة الثقة (confidence) التي يمتلكها المجتمع نفسه، اي إنها درجة الثقة التي تحدد قدرة المجتمع على النهوض بعد تعرضه لأية أزمة، ومنها يبرز التحدي والاستجابة والتأقلم.[٣٦]

ويرى كذلك ان هناك ثلاث عواطف أساسية مؤثرة في جيوبولتيكية المسار السياسي هي:

١- الخوف و ٢-الأمل و ٣-الإذلال، وان السبب في هذا الاختيار هو ان العواطف الثلاث هذه، من دون العديد من العواطف الأخرى، ترتبط مباشرة مع فجوة الثقة (confidence) التي أشار إليها والتي هي بمثابة العامل المحدد لكيفية مواجهة الأمم والسكان للمخاطر التي يواجهونها، وفي بناء علاقاتهم مع بعض.[٣٧]

فالخوف كما يقول، يمثل غياب الثقة في العلاقات الدولية، او الثقة الحرجة عند اللذين فقدوا الأمل بالمستقبل، لتوقعهم بان المستقبل سيكون اكثر خطورة. أما الأمل، فعلى النقيض من ذلك، فهو تعبير عن الثقة والقناعة بان اليوم أحسن من الأمس، وان غدا سيكون أفضل من اليوم، والقناعة هي ضد الاستسلام.

---

[٣٦] -Dominicue Moisi, (The Geopolitics of emotion), Anchor Books, New York, ١٩١٠,p.١.
[٣٧]- ibid,p.٥.

أمل الإذلال فهو الإحساس بالمذلة، والمذلة تتحول أحيانا، كما يعتقد، الى سلاح دبلوماسي، وهو يلعب بأحاسيس الأمم المقهورة. فالإحساس بالإذلال هو الذي يدفع الإيرانيين، في مفاوضاتهم مع الولايات المتحدة، الى إثارة التدخل الأمريكي لإسقاط حكومة مصدق عام ١٩٥٣. كما ان إدانة البرلمان الارمني للإبادة الجماعية التي تعرض لها الأرمن على يد الترك العثمانيين واعتبارها إبادة عرقية، وشعور تركيا بالطوق الارمني والإيراني من الشرق قد يكون من أسباب انفتاح تركيا نحو البلدان العربية رغم الإذلال الذي تشعر به من مواقفهم السابقة من الدولة العثمانية. كما ان مساعدة القوات الخاصة الفرنسية (الكوماندوز) في تحرير البيت الحرام من احتلال الإرهابيين عام ١٩٧٩ هي مذلة اشعرت الملوك وأمراء الخليج بحاجتهم للمساعدة والعون الغربي.[٣٨]

من يقرأ كتاب (الجغرافية السياسية في مائة عام: التطور الجيوبوليتيكي العالمي)[٣٩] سيطلع على التنوع الكبير والتراث الهائل للجيوبوليتكا، ومدى تنوع المواقع التي ترعرعت فيها. مع كل هذا فان تراثها غير واضح في بعض تعبيراتها، لذا أدت

---

[٣٨]- ibid, pp. ١٦,٣١,٦٧.

[٣٩] - كلاوس دودز وديفيد أتكنسون، (الجغرافية السياسية في مائة عام: التطور الجيوبولتيكي العالمي)، ج١ وج٢،، ترجمة: عاطف معتمد وعزت زيان، الهيئة العامة لدار الكتب، القاهرة، ٢٠١٠. ((الجزء الأول ٣٠٢ صفحة والجزء الثاني ٣١٠ صفحة)).

المراجعات النقدية للطروحات الجيوبوليتيكية للعالم أثناء الحرب الباردة الى ظهور ما اصبح يعرف باسم الجيوبولتيكيا النقدية.[40]

فـالجيوبوليتكس لـيس علمـا خاصـا بالبريطـانيين، او الأمريكان،ولا الألمان لوحدهم، بل انه علم ترعرع في عدة بيئات سياسية متأثرا بالأفكار الأساسية لفردريك راتزل [41]، ورودولف كلين[42]، فهناك اليوم جيوبولتيكيا المانية، وانكليزية، وفرنسية، ويابانية، وهندية، واسبانية، وارجنتينية وغيرها من البلدان. وكما يقول ويكرت (كل امة لديها الجيوبولتيكيا الخاصة بها)[43].

ففي ايطاليا، برزت الأفكار الجيوبولتيكية في جامعة تريستا عندما قبل الجغرافيون هناك قبول الجيوبولتيكس كتخصص علمي معتمد في تحليلاتهم الجغرافية السياسية على النمط الألماني، نظرا لتأثرهم بتلك المدرسة. ومن هذا المنطلق صدرت مجلة باسم الجيوبولتيك Geopolitica في أعوام ١٩٣٩-١٩٤٢، وكان هدفها دعم الأفكار الجيويوليتيكية للشعب الايطالي وفتح افق فكري يمكن ان يتطور من خلاله التحليل الجيوبولتيكي الايطالي للأحداث، ومع ان هذه المجلة اختفت بانتهاء عهد النازية والفاشية، الا ان علم الجيوبولتيكس برز مرة أخرى هناك من

---

[40] - نفس المصدر، ج ١، ص١٠.

[41] - فردريك راتزل (١٨٤٤-١٩٠٤)، صاحب نظرية المجال الحيوي Lebensraum-Living space.

[42] - رودولف كلن(١٨٦٤-١٩٢٢) تبنى فكرة الدولة العضوية متأثرا باستاذه راتزل.

[43] -كلاوس دودز ديفد أكنسون، نفس المصدر السابق، ج١، ص٢٧.

خلال دورية جديدة منذ عام ١٩٩٣ تدعى (لايمس)، التي تعني التخوم، كرست صفحاتها للجيوبوليتكس وتحليل خيارات السياسية الخارجية الايطالية المعاصرة، واستطاعت هذه المجلة ان تكسب شعبية كبيرة في ايطاليا.[٤٤]

اما في اليابان، فقد تأثرت المدرسة الجيوبولتيكية اليابانية في البداية بآراء هاوسهوفر الجيوبولتيكية، ويظهر ذلك بوضوح من خلال تحالف اليابان مع ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، ومع ان هذه المدرسة التزمت الصمت، لفترة ليست بالقصيرة، بعد الحرب العالمية الثانية اثر قيام الدولة بتدمير العديد من الوثائق بعد استسلام اليابان في تلك الحرب فقد تعرض الجيوبوليتكس للإهمال لدرجة الانكسار والذبول. لكن ما ان حل عام ١٩٥٧ حتى عقد المؤتمر الإقليمي لاتحاد الجغرافيين الدولي في اليابان، وكان ذلك أول حدث من نوعه ينظمه الجغرافيّون اليابانيّون بعد عقدين كاملين من الانعزال الثقافي. وكان ذلك حدثا مهما لتطوير التواصل الوجداني لدى الجغرافيين اليابانيين، جغرافيا وجيوبولتيكيا، حيث تخلى الفكر الجيوبوليتيكي نهائيا عن المنهج المتعصب او القومي المتطرف والجمود العقائدي العسكري، بل تمحورت حول

[٤٤] ـ ديفيد أتكنسون، (التطور الجيوبولتيكي في ايطاليا الحديثة)، في كتاب: الجغرافية السياسية في مائة عام، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص١٦٥-٢٠٣.

فكرة المصالح الاقتصادية العليا ومصالح المؤسسات التجارية الكبرى والنظام السياسي الديمقراطي[45].

وفي فرنسا ازدهر الجيوبوليتكس عبر مجلة ذات نهج جيوبوليتيكي يساري تدعى (هيرودوت) التي ظهر العدد الأول منها في عام ١٩٧٦ تخليدا لاسم المؤرخ اليوناني هيرودوتس وكان يرأس تحريرها الجغرافي ييفر لاكوست مدير المعهد الجيوبوليتيكي الفرنسي[46]. يقول لاكوست، موضحا مفهومه لطبيعة وروح الجيوبوليتكس، كما يلي: مهما كان الامتداد الإقليمي، وتعقد البيانات الجغرافية، فان (الموقف الجيوبوليتيكي) يعرفه المتنافسون على القوة ذات النطاق الواسع، بعلاقات القوى القائمة بين مختلف أجزاء الإقليم المقصود، وذلك في فترة محددة من التطور التاريخي، والمتنافسون على القوة هم أولا: الدول الكبيرة والصغيرة التي تتصارع على امتلاك أقاليم معينة او السيطرة عليها، ولكي نفهم التنافس أو الصراع الجيوبولتيكي، لا يكفي ان نحدد ونصور المشكلة المطروحة، بل لا بد من فهم أسباب وأفكار الأطراف الرئيسة – حكام الدول، قادة الحركات الإقليمية والانفصالية

---

[45] - كايشي تاكيوشي، (الجيوبولتيكيا اليابانية في ثلاثينيات وأربعينات القرن العشرين) في: الجغرافية السياسية في مائة عام، المصدر السابق، ص١٢٩-١٦١

[46] - ليسلي هبل، جيوبولتيكية اليسار: ييفز لاكوست وهيرودوت والجيوبولتيكيا الراديكالية الايطالية، في الجغرافية السياسية في مائة عام) ج٢، المصدر السابق، ص١٦٥-٢٠٣.

والاستقلالية، فكل منهم يؤثر في الرأي العام الذي يمثله ويتأثر به، إذ ان دور الأفكار، حتى الخاطئة، مهم جدا في الجيوبولتيكس لأنها تفسر المشروعات وتحدد الاستراتيجيات مثل البيانات المادية[٤٧].

ونظرا لهذا التباين الواضح في وجهات النظر التحليلية للأحداث في الجيوبولتيكس الكلاسيكي والنقدي المعاصر، فقد توصل المؤتمر الذي عقده قسم الجغرافية بجامعة دارهام Durham البريطانية في أيلول من عام ٢٠٠٨ الى توصية توفيقية تقول: (هناك عدة مدارس فكرية في الجيوبولتيكس، وان الجيوبولتيكس النقدي هو أحداها، مع ان الجيوبولتيكس النقدي لا يزال بحاجة الى تحديد مفهومه بدقة)[٤٨].

مع كل ما تقدم نقول: لا يمكن للجيوبولتيكس الانتقادي ان يبطل كل ما جاءت به الجيوبولتيكيا الكلاسيكية او التقليدية او الارثيذوكسية، كما يسميها الآن أصحاب هذه المدرسة الانتقادية، وفق رؤيتهم المتعلقة بالصراع الدولي لأحداث ما بعد انتهاء الحرب الباردة. بل نجد ان الطريق الأسلم، لفهم العوامل المحركة للأحداث وتحليلها بشكل سليم، هو في اخذ ما يصلح للتفسير والتحليل من النظريات والفرضيات الجيوبولتيكية الكلاسيكية،

---

[٤٧]- بول، كلافان، هيرودوت واليسار الفرنسي، في: (الجغرافية السياسية في مائة عام) ج٢، المصدر السابق، ٧٨-١٢٧.

[٤٨] -www.exploringeopolitics.org/conference-Durham-university-critica-Geopolitics-geography-٢٠٠٨.

مع الأخذ بنظر الاعتبار المتغيرات المستخدمة الموجهة او المؤثرة في الحدث السياسي، لأن تراث الجيوبولتيكس الكلاسيكي هو جزء هام من الثقافة والمعرفة الجيوبولتيكية. لذا يعتقد بيتر تايلور: ان الجيوبولتيكس الأنتقادي يمثل، هو الأخر، جزء من الانعطافة (ما بعد الحداثة) في الجغرافية البشرية، وان هؤلاء المنتقدين للجيوبولتيكس الكلاسيكي لاغنى عنهم في اي حقل من حقول البحث العلمي. كما انه ليس هناك اي سبب يمنعنا من ان نقلب الحال ونستخدم استبصاراتهم (الطازجة) في أغناء جغرافيتنا السياسية القائمة على نهج النظم العالمية[٤٩]،-فهي جميعاً من تراث الجغرافية السياسية. وكل الأفكار تفهم وتحلل ضمن سياقاتها التاريخية والقومية وفي إطارها الجغرافي.

النظام الجيوبولتيكي وعنصر المفاجأة:

وبالنظر للتباين الحاصل في وجهات النظر التفسيرية للأحداث، من وجهة النظر الجيوبولتيكين الأنتقاديين، اكثر من اهتمامهم بالنظريات الجيوبولتيكية الكوكبية (كما عند ماكندر وسبابكمن ودي سيفر سكي وغيرهم) فقد أصبح هناك لكل نظام جيوبوليتيكي قواعده الجيوبولتيكية التي تحدد مسارات التفسيرات والاستنتاجات، وهذه القواعد، كما يقول تايلور، تمثل مبادئ إجرائية تتألف من مجموعة من الفروض الجغرافية

٤٩- Peter J.Taylor and Colin Flint, op. cit., p.١٠٢.

السياسية التي تنطلق منها الدولة في صياغة سياستها الخارجية وبناء علاقاتها الدولية. وهذه القواعد تتضمن[٥٠]:

١. تحديد مصالح الدولة.
٢. تحديد مصادر التهديد التي تتعرض لها هذه المصالح.
٣. الرد المخطط لمواجهة هذه التهديدات، ان وقعت.
٤. المبررات التي تقدم لاتخاذ مثل هذا الرد.

مع ذلك هناك فترات تحدث فيها انقلابات، او تغيرات مفاجئة، ضمن الترتيب الجيوبولتيكي الإقليمي ذو العلاقة بالوضع الجيوبولتيكي العام، يطلق عليها (فترات الانتقال الجيوبولتيكية) او النقلة السريعة في تغير الحدث، مثل سقوط الاتحاد السوفيتي ١٩٩٠، إنهاء النظام الشاهنشاهي الإيراني عام ١٩٧٩، اتفاقية الجزائر بين العراق و ايران في آذار ١٩٧٥، ضرب تنظيم القاعدة لبرجي التجارة العالمية في نيويورك عام ٢٠٠١، وأخيراً أحداث الربيع العربي. فكل هذه المتغيرات او الأحداث الجيوبولتيكية حدثت وفق (عنصر المفاجئة) الذي لم يكن بوسع أي من الخبراء، ذوي النظرة الجيوبولتيكية النافذة، التنبؤ بحدوثها أو إمكانية حدوثها بهذا الشكل، الخارج عن مؤثرات العوامل الجغرافية، حتى وقعت بالفعل، وخلقت أوضاعا جيوبولتيكية محلية ودولية مغايرة جديدة، بل ونظاماً

٥٠-Peter J.Taylor and Colin Flint, op. cit., pp.٦٢-٦٣.

جيوبولتيكيا جديداً في علاقات الدول وتكتلاتها بشكل يختلف بالكامل عما كان سائداً من نظم زمن سيادة النظريات الجيوبولتيكية التقليدية، بل قد تخلق مشكلات جديدة لابد من معالجة عواقبها، كما هو حادث في ثورات الربيع العربي، ا والأصح، زمن الصحوة الجماهيرية في بعض البلدان العربية.

أنماط الدراسات الجيوبولتيكية النقدية:

يحدد اوتوثل اربعة أنماط في الدراسات الجيوبولتيكية وفق المدرسة الانتقادية هي، كما يوضحها الجدول:

١- الجيوبولتيكس المنهجي (formal Geopolitics): إشارة الى الفكر الجيوبولتيكي التقليدي، وهي مؤسسة فكرية واسعة للجيوبولتيكس.

٢- الجيوبولتيكس العملي (Practical Geopolitics): ويرتبط هذا النمط بالسياسات الجغرافية ذات العلاقة بالممارسات اليومية للسياسة الخارجية للدول التي تشكل الهيكلية العامة لتصورات السياسة الخارجية وفق تطور الأحداث قبل صياغة قرار الولايات المتحدة للتدخل في البلقان.

٣- الجيوبولتيكي الشعبي (popular Geopolitics): هو ذلك النمط من الجيوبولتيكس الذي تعالجه او تثيره الصحافة ووسائل الأعلام الأخرى، التي بدورها تمثل الثقافة الشعبية بهذا العلم.

بمعنى أنه الفهم الجمعي او القومي أو الأممي للأمكنة والشعوب والإحداث العابرة للحدود الجغرافية او السياسية.

٤- **الجيوبولتيكي التركيبي** (Structural Geopolitics): يهتم هذا النمط بدراسة العمليات والنزاعات التي تحدد كيف يجب ان تمارس كل الدول سياساتها الخارجية. وهذه العمليات والنزعات تشمل اليوم، العولمة، المعلوماتية ومخاطر انتشارها المطلق العنان، بفعل نجاح الثورة العلمية – التكنولوجية وثقافتها حول العالم.

جيوبولتيكية الربيع السياسي العربي:

ان ما يسميه الغرب (بالربيع العربي) هو في حقيقته الجيوبولتيكية (تساقط الدومينو العربية) الذي بدأت شرارته الأولى عندما احرق البائع المتجول (محمد البوعزيزي) نفسه تعبيراً عن احتجاجه على استبداد نظام بلاده التي كان يترأسها زين العابدين بن علي الذي هزمته الجماهير الغاضبة وهروبه الى المملكة العربية السعودية في يوم الجمعة ٢٠١١/١/١٤. ثم انطلقت بعد ذلك في ٢٠١١/١/٢٥ شرارة الثورة الجماهيرية في ساحة التحرير وسط مدينة القاهرة وسائر المدن المصرية، وتنحى جرائها حسنى مبارك في ٢٠١١/٢/١١، لتنتهي بذلك فترة الجمهورية المصرية الأولى، ولتبدأ فترتها الديمقراطية الثانية والتي لم تستقر حتى الآن.

وفق هذا النموذج انطلقت شرارة الانتفاضة الشعبية في عموم اليمن ضد حكم علي عبد الله صالح، ومن ثم في ليبيا حيث بدات الجماهير بالتحرك في القسم الشرقي من البلاد في ٢٠١١/٢/١٧ ودخلت العاصمة طرابلس في ٢٠١١/٨/٢٢ وتكللت بالنجاح بمقتل العقيد معمر القذافي في مدينة سيرت في ٢٠١١/١٠/٢٠. ثم تلى ذلك اضطرابات جماهيرية واسعة في البحرين واخيراً ثار الشعب السوري ضد دكتاتورية الأسد. ولا يستبعد أن يكون هذا الربيع استنتاجاً أكثر نضوجاً للانتفاضات التي حدثت في لبنان عام ٢٠٠٥ وإيران عام ٢٠٠٩. فهي انعكاسات لإحداث مشابه سابقة.

جوهر الحدث الجيوبولتيكي وتقنياته:

ان هذا الهياج الجماهيري لبعض الشعوب العربية ضد حكامها المتسلطين على رقابها بتأثير سابق من قوى الغرب، رغم علمها بأن هذه الأنظمة الضامنة لمصالحها كانت جاثمة على براكين في الاستياء الشعبي المكبوت بالقوة لعقود من الزمن، وهذا هو جوهر الحدث الجيوبولتيكي العربي ومحركه والذي أصبح في نظر الغربيين يمثل انتفاضة سياسية للجماهير العربية المطالبة بالإصلاحات الديمقراطية، وهذا هو ما تطلق عليه الجيوبولتيكيا الانتقادية، أو النقدية، بـ(الجيوبولتيكس الشعبي). انظر الجدول (١)، لذا فأن هذه الانتفاضة تتطلب الدعم من (الديمقراطيات الغربية) لأنها ستؤدي، من وجهة نظرهم، الى تغيرات أساسية في

أنظمة الحكم العربية وسياساتها السابقة، الأمر الذي يتطلب بدوره صياغة سياسة أمريكية – اوروبية جديدة تجاه هذه الدول . او عدم الوقوف ضد تيارها العارم في الأقل.

ترى ماهي الأسس التحليلية لهذه (الجيوبولتيكيا الشعبية) او هذا الحراك الجماهيري الذي يشبه الطوفان وماهي محركاته؟

هنا لابد من وضع الأسس الجيوبولتيكية الثلاث لتحليل الفعل السياسي محل اختيار وحسب تسلسلها:

١- ينبغي النظر هنا الى (جوهر الحدث) المتمثل بالسياسات الخرقاء التي تبناها الحكام العرب بدعم من القوى الخارجية تجاه شعوبهم وحرمانهم من ابسط حقوقهم الديمقراطية الأمر الذي ولد لديهم استياءاً عاماً وشاملاً وخاصة لدى الشباب الأكثر ثورية وتنويراً وتطلعاً وتوقاً للحرية السياسية والأمن والعيش الكريم في بلادهم .

٢- الدور الفاعل (العامل الحدث) أي التحرك الجماهيري (السكان) في خلال استثمار تقنيات الأخبار والاتصالات الحديثة عبر المواقع الإخبارية ووسائل الإعلام المرئية (التلفان) ذات العلاقة المباشرة بالتطور التقني الذي ساهم في تصغير العالم وفك الحصار عن مجتمعاته من خلال البث السريع للخبر بالصوت والصورة بلا حواجز او حدود او رقابة، اولا بأول، لأحداث العالم الصغيرة والكبيرة على حد سواء.

أنماط الجيوبولتيكس كما تدرسها الجيوبولتيكيا النقدية[٥١]

النمط الجيوبولتيكي	هدف البحث	الإشكالية	الأمثلة الميدانية
الجيوبولتيكي المنهجي	الفكر الجيوبولتيكي والثقافة الجيوبولتيكية	الأفكار والمؤسسات وسياقاتها الفكرية والثقافية	ماكندر ونظريته الجيوبولتيكية والسياقات الامبريالية
الجيوبولتيكي العلمي	الممارسات اليومية لأنظمة الحكم	المنطق الجيوبولتيكي العملي في تصور وصياغة السياسة الخارجية للدولة	حرب البلقان وتأثيرها على السياسة الخارجية الأمريكية في البوسنة
الجيوبولتيكي الشعبي	الثقافة الشعبية، وسائل الأعلام والفهم الجغرافي للناس	الهوية القومية، بناء تصورات لأشخاص وأماكن أخرى	دور وسائل الأعلام في إبراز حالة البوسنة في البيوت الغربية (التلفاز)
الجيوبولتيكي العملي	الحالات الجيوبولتيكية المعاصرة	العمليات الكوكبية والميول والتناقضات	كيف تعمل العولمة والثورة المعلوماتية وحالة المجتمع على تغيير نمط الجيوبولتيكس.

[٥١]- Gearoid O Tuathail. (Understanding critical Geopolitiscs), op.cit.p.١١١.

٤- البيئة الإقليمية والدولية التي يجرى فيها الحدث، فتغير الوضع الدولي ونظامه العام من سياسة فرض الأنظمة الدكتاتورية العميلة بالقوة او الانقلابات العسكرية الى سياسة التجاوب والرضوخ لإرادة الغالبية العظمى للسكان، وبخاصة الشباب، التواقة للتغيير والراغبة في نيل الحرية واستبدال الأنظمة الشمولية بالأنظمة الديمقراطية التعددية بالطرق السلمية، من خلال نزولها الى الشارع لتحدي القوة البوليسية لتلك الأنظمة ومواجهة قواتها العسكرية والأمنية بهتافات التغيير والمطالبة بالعدالة والديمقراطية وبمباركة مرغمة من القوى الدولية .

المفاجأة الجيوبولتيكية وتباين السياسات:

لاتزال الأوضاع غير مستقرة في بلدان الربيع العربي، رغم نجاح الثوار في بعضها من إزالة حكامها السابقين كما في تونس ومصر وليبيا، لكن هذه الثورات لم تسفر عن نتائج او تغيرات نهائية واضحة، فالحكام قد يتغيرون لكن الأنظمة السياسية لم تتغير في الغالب تغيراً جذرياً ما لم تجرى انتخابات حرة ونزيهة وبإشراف محايد على صعيد ما حصل في تونس على سبيل المثال والتي حصل فيها التيار الإسلامي المتمثل بحزب النهضة الإسلامي بـ ٩٠ مقعدا من اصل ٢١٧ مقعدا يتألف منها المجلس التأسيسي التونسي، وهذا ما يقلق الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي على حد سواء.

لايخفى بأن العالم اجمع، وبخاصة قواه الكبرى، يراقب عن كثب ما يجرى على الساحة العربية، بل ان للولايات المتحدة ولدول الاتحاد الأوروبي مصلحة كبرى في احتواء وتوجيه هذه التغيرات، ففي ليبيا حدث تدخل عسكري مباشر من قبل قوات حلف شمال الأطلسي (الناتو) وان المئات في قوات مشاة هذا الحلف وطائراته ساهمت في معارك المدن الليبية، مع ذلك فأن الحالة الليبية اختلفت كثيراً عما حدث في كل من تونس ومصر واليمن والبحرين وسوريا. ولعل ذلك جاء بسبب القراءة المخطوءة للولايات المتحدة وحلفائها لحالة، الوضع الليبي وعدم إعدادها للقوة الكافية لتوقعات مقاومة نظامه، فجاء الرد العسكري الأطلسي قبل تهيئة القوة الكافية لأحداث التغيير السريع في ليبيا، وكأنه كان استجابة فورية لمطلب الجامعة العربية التي طالبت بغرض حذر للطيران على ليبيا في ٢٠١١/٣/١٢ وهي ظاهرة غير مسبوقة في الجامعة. وهكذا أدت تلك القراءة المخطوءة الى مشاكل الجيوبولتيكية غير متوقعة وتريث ملحوظ في مواقف الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي فيما يخص دول الربيع الأخرى، رغم كون ماجرى ويجري في اليمن وسوريا من تجاوز خطير لحقوق الإنسان قد يفوق مرات ماكان يحدث في ليبيا، فبعد ان استخدمت الولايات المتحدة وحلفائها القوة الصلدة (Hard Power) ضد ليبيا وجدت ان استخدام القوة المرنة

(Soft Power) هـي البـديل تجـاه مـا يحـدث في كـل مـن سـوريا واليمن للأسباب الجيوبولتيكية التالية:

١- التخـوف مـن تطـور الأحـداث المعاكسـة وبـروز المقاومـة الداخلية لأنصار تلك الأنظمة على غرار ماحادث في ليبيا.

٢ – التخوف من مصير الديمقراطيات الوليدة التي قد لا تكون ليبرالية كما يشتهي الغرب، لأنها قد تتحـول الى ديمقراطيـة دينيـة كما هو في ايران.

٣ – جهلـهم بطبيعـة الحكـام الجـدد ومـدى توافـق سياسـاتهم المستقبلية مع توجهات السياسة الغربية وضمان مصالح الغرب.

٤ – ثـورات الربيـع العربـي وان كانـت تتوافـق وتطلعـات الـدول الغربيـة في حلحلـة الأنظمـة القديمـة بمـا يخـدم مشـروع الشـرق الأوسط الكبيرة، الا أنها حسب رأي الغرب حركات غير مضمونة، فالربيع العربي لايشبه تحـولات انظمة اوروبـا الشـرقية بعـد انهيـار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩ .

٥ – تعدد المجموعات والقيادات الداخلية للجماهير داخـل كـل بلـد مـن بلـدان الربيـع العربـي وصـعوبة تجمـيعهم في تكتـل واحـد مضمون و واضح الاهـداف والتوجهـات السياسـية الاسـتراتيجية، أمر يبعث الى التروي في دعـم مثـل هـذه الحركـات مـن جهـة، ويسـهم في تخـاذل مواقـف بعـض القـوى في تأييـدها كمـا حـدث لروسـيا والصـين في اسـتخدامهما لحـق الـنقض (الفيتـو) ضـد قـرار إدانـة

الحكومة السورية في مجلس الأمن. لذا فالموضوع برمته لا يزال تحت المراقبة وخارج حدود السيطرة الغربية الكاملة. فالعالم كله يعلن عن تذمره عما يحدث في اليمن وسوريا، لكن لا أحد يجرؤ بالحديث عن التدخل العسكري هناك على غرار القرار ضد ليبيا. والكل يحذر النظام السوري من دون أن يفعل شيئاً.

العامل الإقليمي الذي يلعب دوراً واضحاً في سياسات ومواقف العديد من الدول ذات المصلحة في دول الربيع العربي، فالموقف الإيراني لايزال مع النظام السوري لأسباب مذهبية، كما ان إسرائيل قلقة عما سيحدث بعد نظام بشار الأسد من تطورات سياسية.

من كل ماتقدم يمكن القول ان (الربيع العربي) لا يزال يمثل حركة نشطة في البلدان التي حدث فيها وإن التغير حاصل في تلك البلدان، لكن المهم ليس في تغيير شخوص وقادة تلك الأنظمة وإنما في إقامة أنظمة ديمقراطية فعلا " تتبنى بشكل ستراتيجي السياسة الضامنة لحقوق السكان، ونبذ الأنظمة الشمولية والعمل وفق سياقات الأنظمة البرلمانية والانتقال السلمي للسلطة السياسية، الا إن ذلك يتطلب الكثير من الوقت، ومزيدا" من الضحايا والشهداء، كما في تجربة العراق، ولعل ذلك (يتطلب أيضا" المزيد الأنانية الدولية)[٥٢].

---

[٥٢]- George Friedman. (Re.examining the Arab spring،: political Geographical Analyses)in: http: //palatinate. Word pres com، p.٣.



الفصل الثالث

جيوبولتيكية نقمة المكان

(كوردستان قدر الجغرافية وتبعات التاريخ)

المدخل:[٥٣]

يحضى المكان، وموقعه، في الدراسات الجغرافية باهتمام خاص ومتمين، لما له دوره البارز في التحليلات الجغرافية في إظهار نتائج وتبعات ذلك الموقع، من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والسلوكية والجيوبولتيكية، وبيان أثرها على مصير سكانه ومستقبلهم السياسي، سواء أكان ذلك المكان، إقليما، أو دولة، أو قارة بأكملها. وقد تمتع مكان كوردستان وموقعها الجغرافي، عبر التاريخ، بقيمة جيوستراتيجية و جيوبولتيكية كبيرة للاعتبارات التالية:

١- موقعها الجغرافي الخطير الذي جعل من جغرافيتها التاريخية مسرحا جيوبولتيكيا لتقرير نتائج ومصير العديد من

---

[٥٣] - كتب هذا الفصل بالاشتراك مع أ.. د.جزا توفيق طالب.

المعارك الإمبراطورية، للعديد من الأمم الغازية (لوقوعها عند حافات تلك الإمبراطوريات وفي ملتقى طرق الحضارات)[٥٤]، مشكلة بذلك (جسرا يربط هضبة الأنضول بهضبة إيران والذي انتقلت عبره حضارات الشرق والغرب)[٥٥]. وكما يقول البروفسور سولكي: (إذا كان الشرق الأوسط هو ملتقى تلك الطرق العالمية فأن كوردستان هي قلب ذلك الشرق الأوسط)[٥٦]. من هنا تنبع مطامع الحكومات والدول المجاورة واهتماماتها بأرض كوردستان وجبالها وثرواتها، فهي حلقة الوصل الجغرافية الرابطة ما بين أواسط أسيا، وجنوب غربها من ناحية، وما بين قارات العالم القديم من ناحية ثانية*.

٥٤-Cart Dahlman، (the political Geography of Kurdistan)، Eurasian geography and economics، vol.٤٣، no.٤، ٢٠٠٢، p.٢٧١.

٥٥- General staff، Mesopotamia expeditionary force، Military report on Mesopotamia، (Aria ٩)، Central Kurdistan، Simla، Government monotype press، ١٩٢٠، p.١

٥٦- Ralf S. Solecki، (Shanider: the first flower people)، Alfred A. Knopf، New York، ١٩٧١، p.١٤.

*- قبل تحول طرق التجارة الدولية في العالم القديم من الطرق البرية الى الطرق البحرية، بعد اكتشاف فاسكودي كاما رأس الرجاء الصالح عام١٤٩٧، كانت كوردستان هي ملتقى تلك الطرق البرية (طرق القوافل)، كالطريق الإمبراطوري الذي فتحه الملك الفارسي داريوس في الحقبة الأخمينية والممتد من سوسه الى ساردس عبر اربيل والذي كان يخترق معظم أراضي كوردستان وطريق الحرير الذي كان يربط الشرق الأقصى بأوربا عبر أراضي كوردستان مع ذلك ضلت كوردستان تتمتع بنفس

كما أنها تشكل الفسحة القارية التي تملأ معظم الامتدادات الجغرافية الواصلة ما بين أربعة مسطحات مائية هي: بحر قزوين والأسود والمتوسط والخليج العربي، لذا فأن هذا الامتداد الجيوستراتيجي لهذه البلاد هو الذي يفسر اهتمام الإمبراطوريات القديمة والقوى المعاصرة بكوردستان، مثل روسيا القيصرية ثم الاتحاد السوفيتي ومن بعدهما كل من الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية.

٢- مساحة كوردستان التي تقدر بـ(٥٠٠،٠٠٠) كيلومترا مربعا[٥٧]، والتي تعتبر من الحجوم الكبيرة في مقاسات الدول حسب

الأهمية من النواحي العسكرية والإستراتيجية (السوقية) لجيوش القوى المحيطة بها.انظر:

Maria T.O shea، (Trapped between the map and reality : Geography and perception of Kurdistan)، Routledge، New York، London، ٢٠٠٤، p.١٨

وكذلك: جوناثان راندل، (أمة في شقاق: دروب كردستان كما سلكتها)، ترجمة فادي حمود، دار النهار، بيروت،١٩٩٧،ص٣١

[٥٧]- خارطة كوردستان مطبعة أليأس، القاهرة، ١٩٤٧،الملحق، ويؤكد ذلك ايضا الدكتور كونتر دشنر في كتابه: أحفاد صلاح الدين، ترجمة عبد السلام مصطفى صديق،٢١٣،١٩٩٢ و Kristiina Koivunen في أطروحته The Invisible war in North Kurdistan ص٧٩

وذكرت دائرة المعارف الفرنسية أن مساحة كوردستان تبلغ٥٣٠٠٠٠ كيلومترا مربعا، وأشارت إليها ماريا أوشيا بأنها ما بين ٤٠٠٠٠٠ - ٤٥٠٠٠٠ كيلومترا مربعا، راجع:

-Encyclopaedia Universalis، vol، ٩، ١٩٦٨، p.٧١٩.

-Encyclopaedia Universalis، Corpus ١٣، ١٩٨٩، p.٣٨٠.

- Maria T.O shea، Op.Cit. p.١٨.

تصنيفات الجغرافية السياسية[٥٨]. تغطي معظم هذه المساحة سلاسل جبال زاجروس وانتي طوروس البالغ طولها في كوردستان حوالي ١٩٠٠كم والممتدة من مشارف خليج الاسكندرونة غربا وحتى الزاوية الشمالية الشرقية للخليج العربي مشكلة إحدى دعائم القوة لهذه البلاد من الناحيتين الدفاعية والاقتصادية نظرا لامتدادها الجبلي المحيطي الواسع، إضافة الى كونها كانت منذ العصور التاريخية، ولا تزال، (الوطن القومي للأمة الكوردية)[٥٩]، و (موطن الكورد الأول)[٦٠].

وفي الجغرافية السياسية، تحضى المساحة الكبيرة، باهتمام خاص عند حساب عناصر القوة الجغرافية الكامنة لأي إقليم أو دولة، لاعتبار ان أي بقعة منها يمكن ان تحتوي مستقبلا على موارد طبيعية غير مكتشفة، كما هو حال بترول كوردستان في العصر الحديث. لقد أثبتت التجارب التاريخية، كما يؤكد الأستاذ جمال حمدان، (ان لكل شبر من الأرض قيمة سياسية، منظورة وغير منظورة، كامنة أو كائنة، فمنطق المساحة عمق ستراتيجي

---

[٥٨]- دول كبيرة جدا تزيد مساحتها عن ٢،٥ مليون كم مربعا مثل كندا وروسيا. وهناك دول أخرى تسمى بالدول القزمية مساحتها ما بين نصف كم مربعا، مثل الفاتيكان، و٦٢ كم مربعا مثل سان مارينو. أنظر:-
Martin Ira Glassner، (Political Geography)، Johnwiley&Son Ibc، New York ،Singapore، ١٩٩٣، p. ٦٦.
[٥٩]-General staff، op. cit.، p١.
[٦٠]- دانا ادم شمدت، (رحلة الى الرجال الشجعان)، ترجمة جرجيس فتح الله المحامي، مكتبة دار الحياة، بدون سنة طبع،ص ٣٤٢.

هام وحاسم وشرط للحماية)[٦١]. وبالتالي فان اكتشاف النفط في كوردستان في أوائل القرن الماضي منح هذه الأرض وموقعها ومساحتها قيمة وعنصر قوة إضافيين.

٣ – أهميتها الستراتيجية المتحكمة بقلب الشرق الأوسط، وممراتها ومفاتيح اجتيازها، التي كانت في نظر الغزاة عقدة أرضية تقف حائلا دون انجاز مطامعهم التوسعية شرقا وغربا، مغولا كانوا أم تتار، بيزنطيين أو أتراك أو عرب. يقول بافيج: (ان مطامع الدول المختلفة بكوردستان نابع أولا من أهمية موقعها الستراتيجي كمنطقة دفاعية بالنسبة لإقليم الأنضول وبلاد ما بين النهرين وإيران)[٦٢]. وهي أيضا دفاعية ومن طراز خاص بالنسبة للكورد أنفسهم، فالمساحة الكبيرة وطبيعتها الجبلية وشعبها الجسور منح قيمة إضافية لأهمية جبال كوردستان الستراتيجية عبر كل مراحل التاريخ القديم والوسيط والمعاصر على حد سواء. لذا تقول ماريا بحق فيما يخص الأهمية الستراتيجية لكوردستان ان (موقع كوردستان شكل تاريخها، وحدد أهميتها الإقليمية والعالمية، وهو العامل الأساسي في فشلها في الحصول على الاعتراف الدولي بهويتها كدولة)[٦٣]، ولعل ابرز قول في الأهمية

---

[٦١]- جمال حمدان، (الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى: دراسة في الجغرافية السياسية) ومكتبة مدلولي، القاهرة، ١٩٦٦، ص٣٤٢.

[٦٢]- بافيج، (كردستان والمسالة الكردية)، ترجمة برو،ط١، ١٩٧٨، ص ١٠-١٢.

[٦٣]- ١٠-Maria T. O Shea، op. cit.، p.١٨٩.

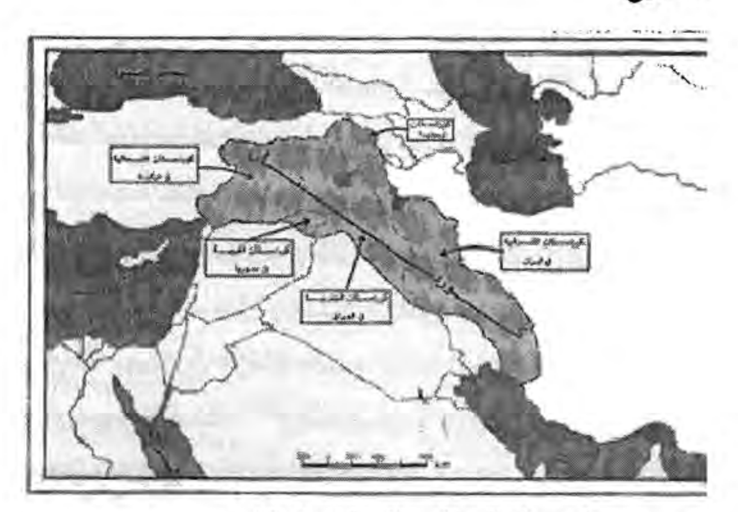
الستراتيجية لكوردستان، كإقليم متميز داخل الحيز الجغرافي لمنطقة الشرق الأوسط، ودور جبالها في حماية الشعب الكوردي واستقلاليتها الحضارية والثقافية، هو قول، الميجر بورتن: (ان جميع الإمبراطوريات الكبرى التي برزت وسقطت من حولهم، وكل الغزاة الذين عبروا من وطنهم من الشرق الى الغرب وبالعكس، فشلوا جميعهم في ترويض الكورد وفرض ثقافتهم عليهم، فكل من الأشوريين والإغريق والرومان والبارثيين والفرس والعرب والمغول والترك جربوا ذلك وفشلوا في إخضاع هذا الشعب الجبلي)[٦٤].

٤- وظيفتها الجيوبولتيكية البينية العازلة، كسلاسل جبلية متصلة بشكل قوس محيطي كبير، بين أعراق مختلفة، كالهندو-أوربية، الطورانية، والسامية.من جهة، وبين حضارات وثقافات مختلفة أيضا، كالتركية، والفارسية، والعربية من جهة ثانية، وبين أقاليم بيئية متباينة كهضبة إيران وصحاريها الداخلية، وهضبة الأنضول شبه الجافة، وبوادي العرب القاحلة. لذا فان بيئة كوردستان الرطبة وشبه الرطبة، ومناخها البحر متوسطي، وغناها النباتي، والحيواني .والزراعي، وامتدادها بين بيئتين فقيرتين طاردتين للسكان، شكلت إقليما أكثر إغراء للقوى

---

[٦٤]- Major H. M. Burton، (The Kurds)، Journal of Royal Central Asian society، vol. Xxxi، part ١، January، ١٩٤٤، p.٧٢.

رجية، وهذا ما منح موقعها الجغرافي، على الدوام قيمة كبيرة
التاريخ.



كوردستان قلب الشرق الأوسط و بحاره الخمس

من هنا توالت الضغوط السياسية على الأمة الكوردية وهو ما
ر أيضا، لماذا كانت كوردستان مرارا ضحية لسياسات القوى
رجية الغازية، القريبة والبعيدة، على حد سواء. وهذا ما
ـر، كما يقول فيرجريف (ظاهرة خروج الجماعات الرعوية
ية عبر التاريخ من تلك البيئات الجافة نحو هذه البلاد الجبلية
ية بمواردها الطبيعية المختلفة لتنشر الرعب والاضطراب بين
كانها. الكورد القاطنين في كوردستان عند حافات تلك

الصحاري)[٦٥]، كلما عانوا في سني القحط والجفاف، من الجوع والقحط. وكما يقول البروفسور رايت، أستاذ الجيولوجيا في جامعة منسوتا الأمريكية، حول الوظيفة الجغرافية لكوردستان: (ان هذه الجبال تفصل سهول ما بين النهرين عن هضاب إيران والأنضول، وتقسم جنوب غرب أسيا جيولوجيا، وفيزيوكرافيا، ومناخيا، وثقافيا، كما خدمت كحاجز مؤثر بوجه التدخل الثقافي بين شعوب ما بين النهرين وشعوب داخل تلك الهضاب، وإنها تشكل مراع خصبة مغرية للرحل وأشباه الرحل، سكان الأراضي الواطئة المحيطة بها، وفي الوقت نفسه أمنت لسكانها الكورد الجبليين معاقل حماية آمنة)،[٦٦] وبسبب هذه الوظيفة الجغرافية العازلة لكوردستان، وامتدادها الشاسع، من خليج الاسكندرونة الى الخليج طولا، ومن جبال ارارات الى جبال حمرين عرضا، وللموقع البيني الذي تتمتع به، فقد أصبحت كوردستان، كما تقول ماريا أوشيا: (بموقعها المحيطي هذا تؤدي وظيفة الإقليم أو المنطقة

---

[٦٥]- جيمس فيرجريف، (الجغرافيا والسيادة العالمية)، ترجمة علي رفاعة الأنصاري ومحمد عبد المنعم الشرقاوي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٥٦، ص٩٧.

[٦٦]- H. E. Wright‹ (Pleistocene glaciations in Kurdistan)‹ Elsceitaltier und Gegenroaart‹ Band ١٢‹spite‹ ١٣١-١٦٤‹ Ohringer‹Wurtt١‹November١٩٦١‹ p.١٣٦.

والترجمة العربية: ه. ا. رايت، (العصر الجليدي البلاستوسيني في كوردستان)، ترجمة فؤاد حمه خورشيد، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٦، ص١٧.

العازلة Buffer Zone من الناحية الجيوبولتيكية لأنها تحتل موقع التماس بين أقاليم العديد من الحضارات والأجناس)[٦٧].

ومن قوانين الوظيفة العازلة في الجغرافية السياسية هي أنها في الغالب، كما تقول مس سامبل، (تتولد منها دولة حاجزة)[٦٨]. ويمكن ان تكون جبال كوردستان كذلك . نقمة المكان الجغرافي: كانت ايجابيات جغرافية هذه الجبال بكل تفاصيلها، عظيمة تجاه الشعب الكوردي في حمايته من الفناء، وفي عزلته الجغرافية، ومحافظته على حضارته وثقافته ولغته الخاصة، وعلى نقاء سماته الانثروبولوجية، ومحافظته لفترة أطول على خصائص الأصول الهندو- أوربية للأمة الكوردية، لكنها كانت في نفس الوقت ذات سلبيات شكلت (نقمة جغرافية) عليه، فنوعت لهجاته، ونمت لدى أبنائه الروح الإقليمية والعشائرية، وحرمتهم من الوحدة السياسية، وتأسيس كيانهم السياسي المستقل، وحولت بلادهم الى ساحة للصراعات الدولية والإقليمية، فتعدد المصطرعين على بلادهم، محولين إياها الى ميادين للقتال الدامي، وملحقين بها الدمار الشامل لمرات عديدة. يقول مارك ميجر: (ان

---

[٦٧]- Marsh، Dwight W.،) the Tennesseean in Persia and Koordistan (، Philadelphia: presbyterian Board of publication، ١٨٦٩، p١١٠. and: Maria T .O shea، Op.Cit. pp.١٩، ٢٥.

[٦٨]-١٥-Ellen Churchill Semple، (Influences of Geographic Environment on the basis of Ratzel system of Anthropo-Geography)، Kentucky، ١٩١١، p.٤٤٠.

جبال كوردستان كانت رحمة ونقمة على الكورد في تاريخهم الطويل ولعدة فترات، فالجبال المقفلة قدمت لهم الحماية من السيطرة الأجنبية، ووفرت لهم الملاجئ الآمنة للانطلاق في حروب العصابات، كما ان موقع الجبال المركزي (بالنسبة للشرق الأوسط ف.) جعل من كوردستان ممرا للتجارة الخارجية التي استفاد الكورد منها. ومن ناحية أخرى ساهمت هذه الجبال في عزل الكورد عن بعضهم، وعرقلت تطور وحدتهم الحضارية والثقافية وأعاقت تأسيس دولة كبيرة لهم. كما ان موقعها جعل منها منطقة إنذار بالغ الأهمية لإمبراطوريات متنافسة عديدة منها الإمبراطوريتين الرومانية والعثمانية، لكن حرمان كوردستان من السواحل البحرية جعل منها بلادا منسية في عالم التجارة البحرية لمدة ٥٠٠ عام الماضية لاعتبار ان الطرق البحرية أصبحت واسطة رئيسة للتجارة الإقليمية والعالمية)[٦٩].

من استقراء إحداث التأريخ الكوردي، العسكري والسياسي، تؤكد لنا حقائق الجغرافية التاريخية والسياسية ان مكان كوردستان لازال يشكل حيزا جغرافيا يتمتع بقيمه جيوستراتيجية كبيرة وهامة في صراعات المنطقة، كما كان كذلك فيما يتعلق بالصراعات والحروب الكلاسيكية للقوى الإمبراطورية عبر التأريخ. لذا فان جبال كوردستان احتفظت بنفس الأهمية

---

[٦٩]--Mark R. Major، (No friends but the mountains: assimilation of Kurdistan)، Social Education، vol.٣٠، no، ٣، ١٩٩٦، p.٢١.

الجيوستراتيجية في العصور القديمة والوسطى والمعاصرة على حد سواء وهذه السمة، جعلت من بلاد الكورد ان تكون، هدفا مغريا، وعامل جذب لإطماع القوى الكبرى المجاورة والبعيدة، على حد سواء، مما عرضها على مر العصور لغزواتها وهجماتهم المدمرة والتي ساهمت في زيادة تخلفها وفقرها وفي تعدد ولاءات قبائلها، ومن ثم تجزئتها واحتلالها. ومع ان كوردستان جغرافيا، كبلاد جبلية صخرية، توصف بكونها بيئة محدودة الإنتاجية، وكما تصف المس سامبل البيئية الجبلية بكونها بيئة غير مضيافة (Inhospitable highland) نسبيا[٧٠]، فأن موقع كوردستان وجبالها البيني، والذي سبق ذكره، كان يشكل حتما جغرافيا يجبر الغزاة على المرور عبر ممرات ومسالك جبالها، او اختراقها، للوصول الى الجانب الأخر، لأنها أصبحت وكأنها منطقة عبور، ترانزيت، وكما تقول المس سامبل (أن وظيفة الجبال أشبه بوظيفة البحار والصحارى أنها منطقة ترانزيت وعلى الإنسان أن يخترقها بسرعة)[٧١]، وهذا ما يمكن ان نسميه بـ(حساسية المكان الجغرافي وإغراءاته) لكل أولئك الغزاة، مع ان أي منهم لم يفلح في تهجير سكانها الكورد، أو تغيير هوية بلادهم الاثنية، أو سماتهم الحضارية، رغم مرور جيوشهم الجرارة عبر ممرات هذه البلاد.

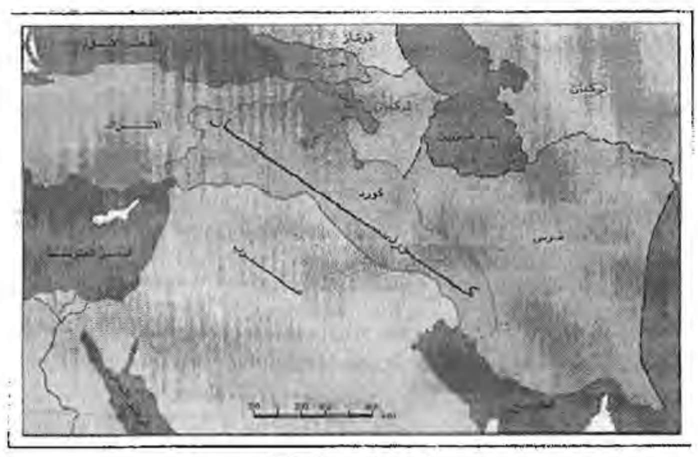
٥- ان الأهمية الجغرافية الكبرى لمكان كوردستان من النواحي العسكرية والاقتصادية جعلت من هذه البلاد مسرحا

---

[٧٠]- Ellen Churchill Semple, op. cit. p.٤٤٠.

[٧١]- ibid، p.٤٤٠

لمعارك كبيرة لجيوش أجنبية،في عهود بربرية القوة الشاملة،التي لاتعترف سوى بقوة السيف لتقرير النتيجة النهائية للحرب. لذا فأن كوردستان اصبحت حينذاك ساحة معارك لتقرير المصير الجيوبولتيكي للقوى المتصارعة والعابرة لجبال كوردستان، أي إنها تحولت الى ساحة صراع لتقرير المصير، أو كما تسمى في الجيوبولتيكس، الى منطقة ارتطام (crush zone) بين الجيوش المتصارعة فوق ترابها. صحيح ان جغرافية جبال كوردستان كانت لها منافع على الشعب الكوردي، من ملاذ آمن، واقتصاد ذو اكتفاء ذاتي، والمحافظة عليه من مخاطر الإبادة لتلك الغزوات والهجمات المدمرة، لكن هذه المنافع أثارت عليه نقمة وحسد الشعوب الأخرى القريبة والبعيدة معا، وهذا هو قدر الجغرافية الذي كان على الشعب الكوردي ان يتحمل نتائج

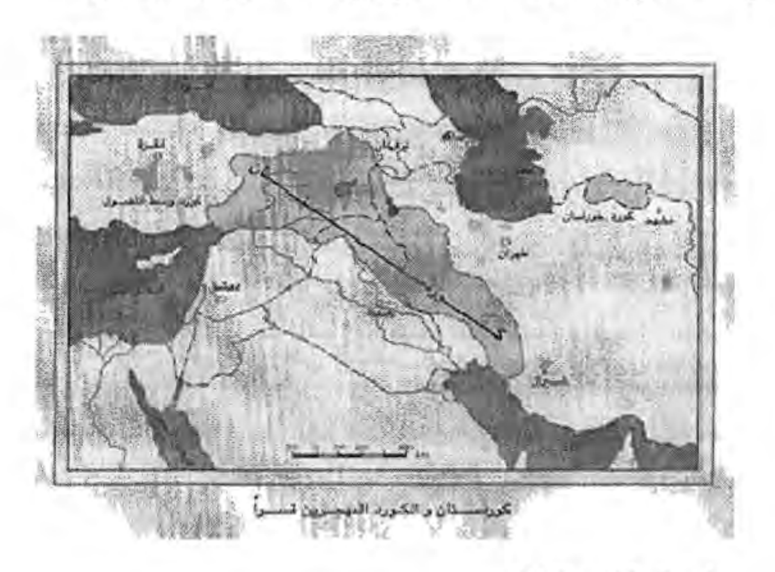


كوردستان منطقة عازلة

٦- لقد تحمل الشعب الكوردي الكثير من مآسي تلك الغزوات، سواء أكان مقاوما لها، أو واقفا منها موقف الحياد، أو أرغم على مواجهتها. فقد تعرضت قراه ومدنه وحقوله ومزارعه وثرواته الحيوانية للنهب والسلب والتدمير، كما تعرض هو نفسه للكثير من اعمال السخرة والاضطهاد والقتل الجماعي والتهجير القسري لقبائله بالجملة الى خارج كوردستان، فالغزاة لم يأبهوا بسكان المناطق التي تجتاحها جيوشهم، بقدر ما كانت تهمهم المكاسب العسكرية، وضم الاراضي، وتأسيس الإمبراطوريات، وتلك كانت تبعات التاريخ التي كان على الشعب الكوردي ان يتحمل نتائجها هي الأخرى، مرغما.

٧- وبسبب القدر الجغرافي وتبعاته التاريخية المشار إليها آنفا، وانعدام سلطة كوردية مركزية في كوردستان الموحدة، تحولت ارض كوردستان الى ساحة تتصارع فوقها جيوش الإمبراطوريات المختلفة، فصبت الجغرافية، سياسيا وعسكريا واقتصاديا، نقمتها الجيوبولتيكية على الأمة الكوردية وبلادها بما نسميه بـ(جيوبولتيكية نقمة المكان)، لأن الكورد في النتيجة تحملوا، هم وحدهم، تبعات موقع بلادهم البيني والإستراتيجي بكل خصائص المكان الجغرافية، كإقليم متميز، دفاعيا واقتصاديا وبشريا، وسط أقاليم وبيئات فقيرة وحتم عليهم هذا الموقع الخطير والمتميز لبلادهم ان يدفعوا ضريبة هذا (المكان)،

الذي حدد مصيرهم السياسي، وتبعية بلادهم الإدارية السياسية، وفقا لنتائج كل معركة كانت تدور بين المتصارعين من الغزاة.



٨- المكان والقوة:

من مجمل ما تقدم لخصائص مكان كوردستان، وموقعها الجغرافي، يمكن التعميم بان أهميتها الجيوستراتيجية والتعبوية، وطرق إمداداتها جعلتها، في الجغرافية الكلاسيكية والحديثة لقارة أسيا، واحدة من أهم الأقاليم الجبلية الضامنة للنصر والسيطرة لأية قوة، كبيرة ومنظمة، غازية لغرب أسيا، ان توفرت لديها إحدى هذه الفرضيات الجيوبولتيكية و الجيوستراتيجية:-

١- ضمان قوة ضاربة منظمة تتمكن من اختراق الممرات الستراتيجية لجبال كوردستان والتحكم بمفاتيح طرقها الشرقية

والغربية، وتحويل هذه الجبال بسماتها الدفاعية ظهيرا، من اجل التوسع والاندفاع نحو الجانب الأخر من كتلتها الجبلية.

٢- جر العدو الى معارك مصيرية في حافات نطاق هذه الجبال، وفي مواقع مختارة، لضمان النصر، أو إلحاق الهزيمة النهائية بقواته.

٣- ان استحال تنفيذ الفرضيتين (١) و (٢) فأن جيوبولتيكية التمركز، أو احتلال نصف هذه المنطقة الجبلية، في الأقل، يجعل (توازن القوى) ممكنا بين القوتين الغازيتين، لأن السمة الدفاعية والأمنية والاقتصادية لهذه الجبال ستكون ممنوحة مناصفة لكل طرف.

٤- ان تعذر تحقيق (١) و (٢) و (٣) فأن الحل الجيوبولتيكي يفرض على أحد الطرفين ان يتبنى اختيار تكتيك المعركة المصيرية في احد المواقع الجغرافية لهذه الجبال، أوفي احد ممراتها الستراتيجية أو احد مواقعها الهامشية وضمان الانتصار على الطرف الأخر في معركة حاسمة وفرض الأمر الواقع عليه.

٩- نقمة المكان والحرب:

١- من عام ٦١٢ ق.م وحتى عام ١٥١٤م (اى عبر ٢١٢٦ سنة) لا نعتقد بأن وطنا زحفت عليه جيوش غازية، وعابرة، ومحتلة، ومدمرة في التأريخ القديم والوسيط والحديث، مثلما عانت ارض كوردستان من ويلات هذه الجيوش وصراعاتها القاسية لكل تلك الفترة الطويلة من الزمن.

٢- كانت لبعض تلك الغزوات آثار خطيرة، محليا، وإقليميا وعالميا. فقد قتلت تلك الحروب، التي دارت رحالها فوق ارض كوردستان، عشرات الآلاف من البشر، وغيرت نتائج معاركها معالم بعض الأقاليم الاثنية والديموغرافية، وقضت على حكومات وخلفت إمبراطوريات، لأن تلك الغزوات لم تكن لتلتزم بأي شيء من تقاليد الرأفة أو الشفقة أو الرحمة حتى على سكانها المحليين، بل كانت تهتم، فقط، بإستراتيجية كسب الأرض والغنائم المادية والفتوحات العسكرية وتأسيس الإمبراطوريات. لذا فان ارض كوردستان كانت تبعا لذلك ساحة لتلك المعارك المصيرية التي خاضتها جيوش تلك القوى الأجنبية المتصارعة والمتنافسة التي غيرت بعض غزواتها، تاريخ المنطقة لفترة غير قصيرة من الزمن، لكنها في كل الأحوال لم تستطيع تغيير معالم كوردستان الاثنية، كوطن قومي للشعب الكوردي، مع ان أوطانا أخرى تغيرت سماتها الاثنية بسبب الهجرات البشرية التي تسببت بها تلك الحروب.

٣- لقد فرضت جغرافية المكان على الأمة الكوردية ان تواجه، أو أن تتحمل، مرغمة، ما آلت إليه نقمة هذه الجغرافية من ويلات على بلادها جراء تلك الهجمات والغزوات الدامية سواء أكانت آتية من الشرق: من أسيا الوسطى، أو من الغرب: من اليونان أو أرض العرب. فالغزاة الآتون من الشرق (الفرس، المغول، التتار، والتركمان)، كان عليهم ان يجتازوا جبال كوردستان واحتوائها

قبل ان يتمكنوا من الهبوط غربا نحو سهول بلاد مابين النهرين أو دخـول الأنضـول. وعلـى عكـس ذلـك، كـان علـى غـزاة الغـرب (كالمكدونيين والبيزنطيين والعرب والترك) ان يجتازوا كذلك جبال كوردستان واحتوائها ليتمكنوا من التوجه شرقا نحو إيران واسيا الوسطى، فبدون ذلك فان جغرافية المكان لجبال كوردستان كانت تشـكل عقبـة كـأداء أمـام أي اجتيـاح عسـكري لهـا مـا لم تقـدم في سـبيل ذلـك تضـحيات جسـام. وان تصـادف ان تواجهـت قوتـان متصارعتان لاحتواء كوردستان وتعذر على إي منهما تحقيق ذلك الاحتواء، وتخندق كل طرف فوق نصف أو جزء من هـذه الـبلاد، فأن من شأن ذلك، ان يخلق بينهما نوعا مـن تـوازن القـوى. عنـدئذ سيكتفي كل طـرف بـاحتلال ذلـك الجـزء والتخنـدق فيـه فـترة، قـد تطول أو تقصر، ومعنى ذلك ابتلاء الأمة الكوردية بأكثر من محتل واحد، في زمن واحد، لأراضيها.

٤- لقـد تم اختيـار خمسـة معـارك تاريخيـة حاسـمة كنمـاذج صـارخة على خطورة الموقع الجغـرافي لأرض كوردسـتان بطبيعتهـا الطبوغرافيـة الجبليـة ووظيفتهـا الجغرافيـة البينيـة والعازلـة، وبإمكانياتهـا الاقتصـادية الزراعيـة والرعويـة المتواضـعة. فهـذه المعـارك المصـيرية، باسـتثناء الأولى منهـا، والـتي دارت رحاهـا جميعا فوق المسرح الجغرافي لهذه الـبلاد الكوردية، كـان لهـا شـأن خطير في مجمل التأريخ الكوردي، وتـأريخ المنطقـة والعـالم القـديم بأسـره، لأنهـا دللـت بمـا لا يـترك الشـك أو الشـبهات علـى

(جيوبولتيكية نقمة مكان كوردستان) على الأمة الكوردية، لأنها كانت الأمة الوحيدة المتضررة من هذه النقمة الجغرافية رغما عنها. أما المعارك الخمس حسب تسلسلها الزمني فهي:-

١- معركة نينوى عام ٦١٢ ق.م.
٢- معركة كوكاميلا عام ٣٣١ق.م.
٣- معركة نهاوند عام ٦٤٢ م.
٤- معركة ملاذ كورد عام ١٠٧٠م.
٥- معركة جالديران عام ١٥١٤م.

وفيما يلي أهم النتائج الجيوبولتيكية المترتبة على نتائج هذه المعارك:

١- معركة نينوى ٦١٢ ق.م:

كان الميديون في صراع دائم مع الأشوريين، مثلما كان البابليون يواجهون، هم أيضا، الضغوط الأشورية. لقد أرهبت الدولة الأشورية، بغاراتها المتكررة على القرى والمستوطنات الميدية، سكان ميديا الذين كانوا يدافعون عن بلادهم ضد تلك الهجمات قبل وبعد تأسيس الدولة الميدية ولحين سقوط الدولة الآشورية وانتهاء دورها في التأريخ القديم. لم يخطط الميديون هجومهم الشامل والنهائي على بلاد آشور إلا زمن ملكهم الثاني

كيخسرو (cyaxares) للإطاحة بهذه الدولة التي لازمتهم العداء. ففي ٦١٥ ق.م جهز الملك الميدي كيخسرو جيشا منظما من المشاة والخيالة والعربات الحربية لضرب قلبي المملكة الآشورية، مدينتي آشور ونينوى، من جهتي الشمال والشرق والغرب، وتم له ذلك في عام ٦١٤ق.م فدمر مدينة آشور اولا، وفي عام ٦١٢ وصلت القوات البابلية بقيادة الملك نبوبلاسر، للمساهمة في ذلك الحصار، من الجنوب والغرب والتعاون مع القوات الميدية في إسقاط الدولة الآشورية. وعند أسوار نينوى أتفق الملكان، الميدي والبابلي، على عقد معاهدة تعاون عسكري لضرب وإسقاط الدولة الآشورية واحتلالها[٧٢]. وقد عززت هذه المعاهدة، فيما بعد، بزواج ملكي حيث زوجت الأميرة (اماتيس) ابنة الملك الميدي كيخسرو الى نبوخذ نصر بن الملك البابلي نبوبلاسر[٧٣].

وفي مايس في عام ٦١٢ق.م ساهم الجيشان الميدي والبابلي في معركة نينوى بعد حصار لها دام ثلاثة أشهر، أسفر عن اجتياح المدينة وتدميرها وقتل وأسر من فيها وكان من بين القتلى آخر ملوك آشور (سن– شار– أشكوم). وبموته ماتت الدولة الأشورية

---

[٧٢]- فؤاد حمه خورشيد، (أصل الكورد)، مطابع دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٦، ص١٩.

[٧٣]-Herodotus، (The History) penguin book، ١٩٨٤، pp.٨٠-٩٦. And، George Roux (Ancient Iraq) Applicant book، ١٩٦٦، p.٣٤١.

التي أقلقت المنطقة فترة طويلة من الزمن، وتشكلت على أنقاضها قوتان عظيمتان، بمقياس الجغرافية السياسية لذلك الزمن، هي: الإمبراطورية الميدية التي امتدت أرجاؤها من افغانستان شرقا وحتى نهر (هاليس) قزيل أيرمق في وسط تركيا الحالية[٧٤]، والدولة البابلية التي امتدت الى الغرب منها في الهلال الخصيب وكان السور الميدي في وسط العراق الحالي يفصل مابين أراضي الدولتين الحليفتين.(انظر الخارطة)

ان احد التفسيرات الجغرافية، للصراع الميدي–الأشوري، يعزى الى تفاوت قدرات بيئتي الطرفين، جبال ميديا وسهول نينوى. لذلك تقول المس سامبل (ان السهول تملك ما لا تملكه الجبال، هذه حقيقة أساسية في الجغرافية الاقتصادية، فقد قاد ذلك الى أحداث تاريخية وصراعات، وما هجوم الميديين الجبليين على اشور وتدميرهم لنينوى الا صراع من هذا النوع[٧٥]).

ان سقوط نينوى على يد الميديين هز العالم القديم. لقد وصف الرسول اليهودي نحوم (Nahum) الجيوش الميدية المهاجمة على المدينة التي كانت ذات يوم سيدة مدن الشرق الأوسط بما يلي[٧٦]:

---

[٧٤]-Mehrdad R. Izady، (The Kurds: A concise Handbook)، Taylor&Frances، Washington D.C.، ١٩٩٢، p.٣٢-٤٣.

[٧٥] -Ellen Churchill Semple، op.cit.p.٤٨٥.

[٧٦]- The fall of Nineveh. http//www.livius.org/ne-nn/Nineveh/ninevehol.html،p٢ of ٣.

المهاجمون قادمون يا نينوى

الجنود بدروع حمراء

والمحاربون يرتدون البزات القرمزية

بمركباتهم الحربية التي تحمل الحديد

في يوم استعدادهم للهجوم

لوحوا مهددين برماحهم المسمارية

مركباتهم الحربية كانت تعصف في الشوارع

مندفعة نحو الأمام والخلف عبر الباحات

تبدو أشبه بالمشاعل المتوهجة

ترشق السهام كالبرق

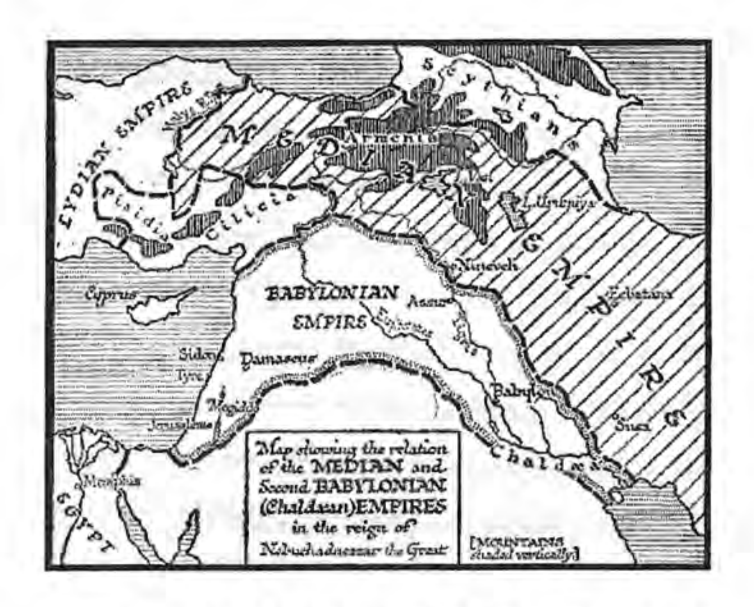
لقد استدعيت قطعات النخبة

التي كانت تتزاحم في الطرقات

نحو أسوار المدينة، اندفعوا

لقد وضع الدرع الحامي في المكان المناسب

اقتحمت منافذ النهر، وتم العبور... انهار القصر، واستولي عليه.



حدود الإمبراطوريتين الحليفتين الميدية والبابلية بعد سقوط آشور

من نتائج معركة نينوى هذه تحول جيوبولتيكية (نقمة المكان) لأول مرة في التأريخ الكوردي القديم لتصب غضبها على الدولة الأشورية أولا، وبالمنفعة على الأمة الكوردية ثانيا، فبعد هذه المعركة تحرر الشعب وخضعت كل سلاسل جبال زاجروس (كوردستان) وانتي طوروس لجيوش الميديين، وهذا مكن الشعب الميدي من ان يصبح قوة كبرى مهابة الجانب في غرب اسيا حكمت من عام ٧٠٠–٥٥٠ق.م، هو عمر الإمبراطورية الميدية

(الكوردية)[٧٧]، وهذا ما يتلاءم مع الفرضية الأولى من الفرضيات التي سبق ذكرها.

٢- معركة كوكاميلا (Gaugamela) عام ٣٣١ق.م[٧٨]:-

كان قدر كوردستان ان تدور رحى هذه المعركة الطاحنة، بين جيش الاسكندر المكدوني، وجيش داريوس، إمبراطور الفرس آنذاك، على ارض كوردستان شمال غرب مدينة اربيل بحدود ٩٠كم، فوق رابية دعيت بـ(كوكاميلا)، لذلك تعرف هذه المعركة احيانا بمعركة اربيلا، وذلك في اليوم الأول في شهر تشرين الأول من عام ٣٣١ق.م. وبموجب الأسلوب الكلاسيكي للمعارك، فأن اي معركة كان عليها ان تستمر لحين هزيمة احد الطرفين المتحاربين، فبعد ان انتصر المكدونيين، خسر الفرس خلال هذه المعركة ٤٧٠٠٠ قتيلا، مقابل ٤٠٠٠ قتيلا من الجيش المكدوني، وهي ثاني اكبر معركة ينتصر فيها الاسكندر المكدوني على داريوس بعد معركة أيسوس عام ٣٣٣ق.م. وبهذا النصر للمكدونيين

٧٧- Henry Smith Williams، (The historian history of the world)، Vol.٢، ١٤th Edition، New York، ١٩٢٦، p. ٣٨٠، and، Herodotus، op cit.، ٨١-٩٦.

٧٨- Barry porter، (Battle of Gaugamela: Alexander versus Darius)، Military History، September ١٧، ٢٠٠٢، at www.history net.com.

تحولت كوردستان، بسبب نقمة المكان ايضا، الى إحدى مقاطعات الإمبراطورية المكدونية. ومع ان ألاسكندر لم يتدخل في تغيير اى من تقاليد وممارسات الإدارات القبيلة الكوردية، فقد ساعد ذلك على ترسيخ الهيمنة الكوردية على جبال زاجروس (كوردستان).

ومن وجهة النظر الجيوبولتيكية ليس هناك من شك في ان هذه المعركة غيرت مجرى تأريخ غرب أسيا برمته، فقد خضع هذا الجزء الواسع من القارة، بما فيها كوردستان، للسيادة الهيلينية لقرون عديدة، وتأثر سكانها بالثقافة اليونانية الكلاسيكية علما وأدبا. وهذا الانتصار الساحق للاسكندر المكدوني في الموقع الذي اختاره، يتفق والفرضية الثانية من الفرضيات التي اعتمدها البحث.

٣- معركة نهاوند عام ٦٤١ ميلادية:

تعتبر معركة نهاوند من المعارك الفاصلة في التأريخ الإسلامي والتي حدثت زمن خلافة عمر بن الخطاب (رض) سنة ٦٤٢م قرب بلدة نهاوند الكوردية عمق جبال زاجروس، والتي انتصر فيها المسلمون بقيادة ألنعمان بن مقرن مع انه قتل في نفس المعركة[٧٩] زج الملك الفارسي يزدجرد الثالث بما تبقى من فلول جيوشه المهزومة في القادسية وطيسفون (المدائن) وبحدود ٥٠٠٠ مقاتل،

---

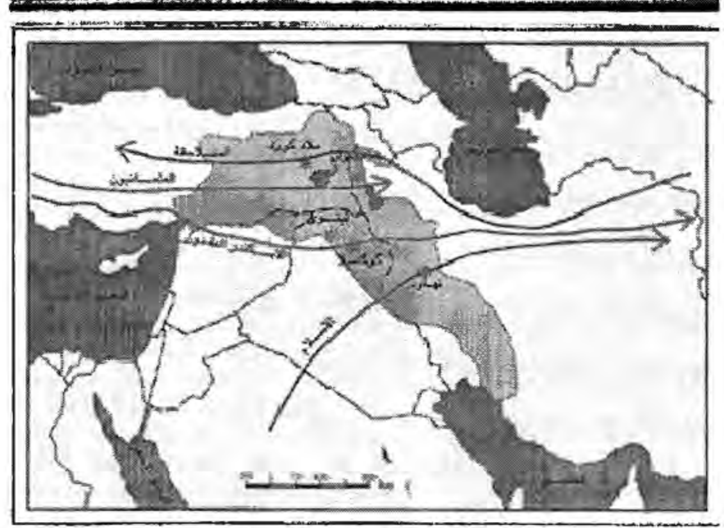
[٧٩]- للتفاصيل راجع: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (تاريخ الطبري)، ج٥، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨، ص٣١٨.

مقابل ٣٠٠٠٠ الف مقاتل من المسلمين. لكن الهزيمة النكراء فوق ارض كوردستان الحقت بالفرس، الذين بهزيمتهم، انتهى حكم الدولة الساسانية بعد ان دام ٤١٦ سنة. وتبعا لهذا الانتصار الساحق للمسلمين، والذي عرف (بفتح الفتوح)[80]، فقد تمكن المسلمون العرب من عبور جبال كوردستان والتوجه منها شرقا حتى تخوم الصين، وبسبب نقمة المكان انتقلت التبعية الإدارية والسياسية لكوردستان، هذه المرة، من الفرس الى العرب، فأصبحت كردستان جزءا من ممالك الدولة العربية الإسلامية، وكما تقول السيدة عايدة العلي: كانت من أحدى النتائج المترتبة على فتح إيران ودخول العرب الى المناطق التي يسكنها الكورد والتي كانت جزءا من الإمبراطورية الساسانية وأصبحت في عداد مناطق الخلافة العربية المترامية الأطراف[81]، كما وانتقل سكانها من الديانة الزردشتية الى الديانة الإسلامية، وبذلك اكتسبت الأمة الكوردية سمة حضارية جديدة كان لها تأثيرها في مسار التأريخ الكوردي ألاحق. وهذا الانتصار يتفق ومتطلبات الفرضية الثانية أعلاه.

---

[80]- عزالدين ابوالفتح علي، (الكامل في التاريخ) ج٢، دار إحياء التراث لعربي، بيروت، ١٩٨٩، ص١٨٦.

[81]- عايدة العلي سري الدين، (المسالة الكردية في ملفات السياسة الدولية)، نشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت ط١، ٢٠٠٠، ص١٨٠.



٤- معركة ملاذ كورد (Manzikert) ١٠٧١م:

تعرف هذه المعركة في المصادر الانكليزية بـ (Manzikert battle) او (Malazgirt) والأصح هي (Mlazkurd) وملاذ كورد هي مدينة كوردية تقع شمال بحيرة وان، ضمن ولاية موش، في كوردستان وتركيا. والمعركة التي دارت بجوارها والتي عرفت باسمها كانت من المعارك التاريخية الدامية التي دارت رحاها في قلب الأراضي الكوردستانية بين جيش البيزنطيين بقيادة الملك رومانوس، والسلاجقة الأتراك بقيادة زعيمهم الب أرسلان قادمين من أواسط أسيا والمتجهين غربا نحو كوردستان وغرب الأنضول

وبلاد ما بين النهرين. لقد قدر عدد الجيش البيزنطي بحدود ٤٠٠٠٠ مقاتل، قابلهم فيها جيش بدوي سلجوقي تعداده ٥٤٠٠٠ مقاتل[٨٢]. وكان من نتائجها الخطيرة والمؤثرة، ليس في تأريخ الشرق الأوسط وحسب، بل في تركيبته الاثنوغرافية، وتشكيلية السكانية، ونظامه السياسي، وبخاصة بالنسبة لأسيا الصغرى وما وراء القفقاس.

يقول المؤرخ المشهور سدني فشر: (بعد معركة ملاذكورد ١٠٧١ نهبت العصابات التركية أسيا الصغرى حتى مدن سيواس، قيصري، وقونية والى شواطئ مرمره، وبعد ان فتحت اسيا الصغرى كلية للغزاة لمدة تزيد عن قرن، وجدت العديد من القبائل الرحالة التركية ان مناطق وجبال وممرات الأنضول جذابة للسكن والاستقرار فسمي هؤلاء بالتركمان)*.[٨٣]

لقد انتصر السلاجقة الغزاة في هذه المعركة ودحر البيزنطيون واسر ملكهم. وتغيرت تبعية الأقاليم الإسلامية، الإدارية، والسياسية، بما فيها كوردستان. فنقمة المكان هذه المرة تتمثل في خضوع كوردستان لحكام جدد اكثر قسوة وفضاضة من سابقيهم، الا وهم أتراك أسيا الوسطى، فأصبحت اللغة والحضارة

---

[٨٢]- Ottoman Military، Battle of Manzikert، htt//ottoman military، devhub.com.

-*

[٨٣]- Sydney Nettleton Fisher، (the Middle East: History)، ٢nd edition، Routlidge&kegonpoul، London، ١٩٧١، p.١٦٢.

التركية، باعتبارها حضارة الحكام الجدد، ثقافة السلطة الجديدة التي فرضت بالإكراه ولم يتقبلها الشعب الكوردي. بعدها بدأت الهجرات التركية من أسيا الوسطى بكثافة نحو القفقاس وأذربيجان واسيا صغرى وبخاصة بعد ان عشش السلاجقة في هضبة الأنضول، والجزء الغربي في أسيا الصغرى. هكذا تسببت نقمة المكان، وتغير موازين القوى المسيطرة، في ان اصبحت كوردستان، في كل مرة، إقليما تابعا لسلطة، فبعد ان كانت خاضعة للفرس، انتقل خضوعها على التوالي للمكدونيين والعرب ثم البيزنطيين فالسلاجقة الأتراك. وهذا يتفق ومتطلبات الفرضية الرابعة المذكورة أعلاه.

ان اخطر ما مارسه السلاجقة والموجات التركية اللاحقة ضد الأقاليم، التي اجتاحوها واحتلوها وحكموها، هو محاولتهم العبث في مكونات تلك الأقاليم الاثنوغرافية ومحاولة تتريكهم وتهجيرهم بالقوة، وفرض لغتهم وحضارتهم عليهم بالإكراه، وخاصة بعد ان انتشرت جيوشهم القاسية التي خلت ضمائرها من الشفقة أو الرحمة، فنهبت المحاصيل وهدمت البيوت وخطفت النساء واحترقت الحقول والبساتين وهجرت السكان، كما حدث ذلك في أذربيجان التي تمكنوا من تتريكها، وكذلك تتريك هضبة الأنضول والقسم الغربي في أسيا الصغرى، ومن ثم توارثوا الحكم، بعد إسلامهم، الذي ساعدهم على فرض سلطتهم وسياستهم تلك. ولعل اخطر ما في نتائج احتلال السلاجقة الأتراك لكل الأراضي

الممتدة من أواسط أسيا حتى القدس، كما يقول فيرجريف، هو بدء الحروب الصليبية في ذلك الوقت لأنهم قضوا على الإمبراطورية الرومانية الشرقية عام ١٤٥٣.[٨٤]

وما يهم هنا هو فشل كل محاولات الغزاة الأتراك، من سلاجقة، وخرفان بيضاء، وسوداء، وعثمانيين وغيرهم، في تتريك الأمة الكوردية أو فرض حضارتهم على كوردستان. رغم أنهم تركوا، بعد هذه المعركة، الباب مفتوحا للهجرات التركية أو التركمانية نحو الشرق الأوسط. لقد حاول الأتراك بمختلف فصائلهم اقتحام كوردستان وتشجيع الترك أو التركمان على السكن فيها، لكنهم واجهوا مقاومة بطولية عنيفة من قبل القبائل الكوردية المحاربة التي حالت دون تنفيذ ذلك المخطط الأسود، لذا نجد اليوم ان الاثنية التركية أو التركمانية تتركز في إقليمين محيطين بكوردستان الأول شرق كوردستان، في أذربيجان، والأخر في غربها، وسط الأنضول وغرب أسيا الصغرى، اما كوردستان الجبلية، التي تتوسطها، ضلت عصية عليهم ولم يفلحوا في تغيير اثنيتها الكوردية مثلما غيروا أثنية أذربيجان الفارسية، وأسيا الصغرى الارمنية والهيلينية واليونانية. فحول هذا الموضوع يشير الكاتب الإيراني حسن عرفه، في كتابه (The Kurds) مايلي عن دور جبال كوردستان في ذلك: (لم يجرؤ الأتراك على السكن في كوردستان، فبعد تتريكهم لأذربيجان عبروا جبال كوردستان من بعض

[٨٤]- جيمس فيرجريف، المصدر السابق، ص٢٣٨٧.

مسالكها ليدخلوا السهول الخصبة لأسيا الصغرى متجهين نحو بحر ايجة غرب الأنضول وشواطئ البحر المتوسط الدافئة، فاستقروا فيها مختلطين مع السكان الأصليين لتلك المناطق من الكبادوكيين cappadocians والفريجيان phrygians والليديين lydians والميسيين mysians والكيريانز carians والبمفيليانز pamphylians وأذابوهم معهم في اقل من قرنين من الزمان،ان عدم تمكن الأتراك من الاستقرار في جبال كوردستان التي تقطنها القبائل الكوردية الشرسة يعكس الحقيقة القائلة، ان بين المنطقتين التي يتكلم بها شعب باللغة التركية -اذربيجان في الشرق والأنضول في الغرب بقيت المنطقة الواسعة الممتدة بينهما، ارض كوردستان، التي ضل الشعب الكوردي محتفضا فيها بلغته النقية وبعاداته المعروفة لحد الآن، دون تأثر، رغم أنهم لم يتمتعوا باى استقلال سياسي، لذا بقوا تحت سذاجة حكامهم وإداراتهم وتبعيتهم للسلطة السياسية المتسلطة عليهم مما اكسبهم سمعة لا تليق بهم، فقد الحقت بهم سمة العصيان ومخالفة القانون وغير ذلك من النعوت الباطلة)[٨٥]. لقد كانت هذه التهم أسهل الإدانات للأفراد والجماعات والقبائل الكوردية، عند جميع القوى التي تسلطت وحكمت بلاد الكورد، طالما ضل

---

[٨٥]- Hassan Arfa، (The Kurds: An historical and political study)،Oxford University Press،London، ١٩٦٦، p.٩
والترجمة الفارسية للكتاب: حسن ارفع، (كردها) يه ك بروسي تاريخي وسياسي، ترجمه نده، محمد رئوف مرادي، نشر آنا، ١٣٨٢، ل ٢٨-٢٩

الشعب الكوردي موحدا صامدا بوجه طغيان تلك السلطات الأجنبية ورافضا لها فكما يقول مولتكه، المستشار العسكري الألماني زمن السلطان محمود: (سوف يكون من المستحيل التغلب على الكورد إذا ما وحد صفوفهم)[٨٦].

٥- معركة جالديران (Chaldiran):-

أحد أشهر المعارك التي خاض غمارها الأجانب فوق أديم كوردستان. وقعت هذه المعركة فوق سهل جالديران، قرب قرية جالا آشاخي، على بعد ستة كيلومترات الى الغرب من مدينة سياجه شمه، جنوب مدينة ماكو الكوردستانية، في ٢٣آب ١٥١٤م بين الجيش الإيراني (الصفوي) بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي والجيش العثماني (التركي) بقيادة السلطان سليم الأول، حيث حشد الإيرانيون جيشا بلغت تقديراته ١٠٠٠٠٠ مقاتل، في حين جند العثمانيون لهذه المعركة بحدود٤٠٠٠٠ مقاتل[٨٧].

قدر الجغرافيا هذه المرة في ان تدور رحى هذه المعركة فوق كوردستان،مرة اخرى، ليتحمل الشعب الكوردي أوزارها المأساوية، كما حدث له في المعارك السابقة. فقد حاولت الدولتان

---

[٨٦]- نقلا عن: كونتر دشنر، (أحفاد صلاح الدين)، ترجمة عبد السلام مصطفى صديق، اربيل، ١٩٩٢، ص١٢،٧٠.

[٨٧]- The University of Calgary، The Islamic World to ١٩٠٠، Battle of Chaldiran، www.ucalgray.ca.

المتجاورتـان المتنافسـتان احـتلال جبـال كوردسـتان لأهميتهـا الستراتيجية والاقتصـادية، لكـن أي مـن القـوتين لم يتسـنى لهـا تحقيق ذلك لتمركز قوات كل منهـا في جزء من هـذه الجبال، فكل دولة كانت لها أهداف محددة فيها، فالإيرانيون خاضوها من اجل احتلال كوردستان بالكامل لدرء خطـر تأسيس إمبراطوريـة سـنية معادية علـى حـدودهم الغربيـة، بينمـا أمـل العثمـانيون منهـا كسـر شـوكة الفـرس والحـد في تـداخلاتهم ومعـاداتهم الدائمـة لـدولتهم الفتيـة، وكـان الطرفـان يعتمـدان علـى أهميـة جبـال كوردسـتان ومنعتهـا في تحقيـق ذلـك، لكـن النتيجـة كانـت في صـالح الدولـة العثمانيـة حيـث دحـر الجيش الفـارس وأسـر ملكـه فيهـا، بعـد ان خسـروا فـوق ارض المعركـة ٥٠٠٠قتيـل، مقابـل ٢٠٠٠ قتيـل مـن العثمانيين[٨٨]. وهذا ما يتفق والفرضية الثالثة أعلاه.

ولعل أهم أسباب هزيمـة الفـرس في هـذه المعركة، الـتي حـددت مستقبل العلاقات السياسية بين الـدولتين ورسمـت معـالم الحـدود الفاصـلة بينهمـا، وشـطرت ارض كوردسـتان الى قسـمين، هـو ان العثمانيين استخدموا لأول مـرة المدفعيـة الـتي أخفيـت عـن أنظـار الفـرس لحـين اسـتخدامها في المعركـة[٨٩]، وكـان مـن نتـائج هـذه المعركة بالنسبة للعثمانيين هو توغل الجيش التركي في الأراضـي

---

[٨٨]- Battle of Chaldiran، Wikipedia، the free encyclopedia.
[٨٩]- The University of Calgary، Op.Cit.

الإيرانية حتى عاصمتهم تبريز* ثم انسحابه منها، بعد ان ضمنوا سيطرتهم على كوردستان الشمالية والجنوبية. أنهت هذه الحرب التمردات العلوية داخل الدولة العثمانية كما أنهت التهديدات الإيرانية للدولة العثمانية لكنها لم تنهي الحرب بينهما والتي استمرت ١٢٤ سنة أخرى بينهما حتى انتهت بتوقيع معاهدة زهاو عام ١٦٣٨ والتي حصلت بموجبها إيران على المناطق ذات الغالبية الشيعية مثل أذربيجان ولورستان وعربستان، أما القسم الغربي من كوردستان فخضع للعثمانيين وفقدته إيران بشكل دائم، فالحروب أجبرت الطرفين على رسم الحدود الدولية بينهما وان نصبح كوردستان منطقتي نفوذ للدولتين، بمعنى ظهور أول تقسيم دولي للوطن الكوردي، وهكذا جعلت نقمة المكان من الوطن الكوردي، كما يقول ديفد رومانو: (نقطة التقاء للإمبراطوريتين العثمانية والفارسية، وهذا كان يعني أن العديد من الأمارات الكوردية استخدمت كمناطق حاجزة أو أرض معارك بين هاتين الإمبراطوريتين)[٩٠]. وهذا ما يتفق الفرضية الثالثة التي سبق ذكرها بسبب حصول كل طرف على الميزات الستراتيجية لذلك الجزء الجغرافي من كوردستان، الذي احتله وتمسك به، وهذا

---

* ـ لذلك اضطر الفرس الى نقل عاصمتهم بعدها من تبريز الى قزوين في أواسط القرن ١٦، والى أصفهان وسط إيران عام ١٥٩٨.

[٩٠]-David Romano، (The Kurdish National Movement: opportunity، mobilization and dentity،(Cambridge University press، New York،٢٠٠٦،p.٣.

الوضع الجيوبولتيكي ربما هو الذي ساعد على إيجاد نوع من توازن القوى بين الطرفين.

أما على الصعيد الكوردي فقد أرغمت جيوبولتيكية نقمة المكان في هذه المعركة، الدولة العثمانية على القبول باستقلال الإمارات الكوردية ضمانا وتأكيدا لحماية حدودها في هذا الجزء من كوردستان ضد التوسع الإيراني والتسليم بإداراتها الذاتية تحت قياداتها المحلية. وجدير ذكره هنا (ان الأمراء الكورد وقعوا بعد هذه المعركة، في عام١٥١٦ مع الدولة العثمانية على اتفاقية مكنت الدولة العثمانية من إلحاق كوردستان الكبرى (الأصح النصف الغربي منها. ف) بالدولة العثمانية مقابل احتفاظ الكورد بإماراتهم وحكوماتهم ذات الحكم الذاتي[٩١]. إلا كسواتر دفاعية أمامية للدولة العثمانية لمواجهة الدولة الصفوية الشيعية، وكان ذلك التوجه العثماني يمثل ضرورة أمنية لخدمة تلك المرحلة وليس إيمانا منها بحقوق الكورد الوطنية والسياسية، لذا فان الأمر لم يدم طويلا، فسرعان ما انقلب السلاطين العثمانيين اللاحقين على الكورد، وخاصة بعد حكم السلطان محمود الثاني (١٨٠٩–١٨٩٠)، إذ أصدرت الحكومة العثمانية عام ١٨٢٦ قرارا

[٩١]- عثمان علي، (حكومة بدر خان الكردية والصراع الكردي – الاثوري ١٨٤٣-١٨٤٧)، مجلة - نالاي نيسلام – العدد٢،مايس-حزيران، ١٩٩٣،السنة ٧، ص ٢٨.

بالقضاء على الإمارات الكوردية وأمرت بتعيين حكام ترك محلهم، مما أدى الى توالي الثورات القومية الكوردية في تلك الدولة[92].

الأستنتاجات:

يتضح من كل ما تقدم ان جيوبولتيكية نقمة المكان، اي تحول دور واهمية مكان كوردستان، من ارض جبلية لحماية وصيانة ووحدة الأمة الكوردية واستقلالها السياسي الى ساحة تتصارع عليها الجيوش الأجنبية الغازية طمعا في احتلال كوردستان، للتوجه بعدها الى الأقاليم التي تمتد بعدها، وتحويل جبال كوردستان الى ميدان لصراع القوة عبر ذلك الزمن الطويل، وانعكاس مرارة ذلك الصراع على اهل البلاد فضلا عن تقسيم وتجزئة كوردستان، هو الذي جعلنا نعبر عن تلك الإحداث بـ(نقمة المكان) على اهله. وهذه النقمة أوصلتنا الى الاستنتاجات التالية:-

١- أن الموقع الجغرافي لكوردستان (مكانها) هو الذي شكل تاريخها منذ أن وجد الشعب الكوردي فوق جبال كوردستان منذ الألف الثالث ق.م وحتى يومنا هذا، وهو الذي حدد أهميتها الجغرافية والجيوستراتيجية، الإقليمية والدولية. كما أن نقمة

[92]- The E.J.Brills first Encyclopaedia of Islam ١٩١٣-١٩٣٦، vol، Leiden، New York، ١٩٨٧، p١١٤٧.

المكان وما ترتبت عليه نتائج معارك كل الغزاة الأجانب من اضطهاد ومظالم وتقسيم لأراضي بلادهم وضمها واحتلالها، كان العامل الحاسم في فشل كوردستان في الحصول على استقلالها الكامل ونيل الاعتراف الدولي بهويتها كدولة ذات سيادة لحد الآن.

٢- تشير هذه الإحداث التاريخية ونقمها، التي الحقت بالشعب الكوردي بوضوح لا لبس فيه، الى ان تلك القوى الغازية، العابرة أو المقتحمة، لجبال كوردستان، شرقية كانت أم غربية، كانت كلها قوى منظمة بخلاف الشعب الكوردي الذي كان مشتتا بين قبائل أو إمارات صغيرة وبدون قيادة مركزية موحدة، وحسبما يقول المؤرخ القدير أ.ل.فشر (ان القوة المنظمة تستطيع دائما ان تهزم الرأي غير المنظم)[٩٣]، وهذا يعني ان الأمة الكوردية كانت ولا تزال أحوج ما تكون الى وحدة الكلمة، ووحدة القيادة، لتجاوز مخاطر وتهديدات نقمة المكان التي لا تزال قائمة.

٣- ان كل القوى التي غزت الشرق الأوسط، بما فيها كوردستان، بدوية كانت أم حضارية، كلها كانت قوى منظمة، منضبطة تحت قيادة موحدة، لذلك كسبت المعارك وأسست الدول والإمبراطوريات. في حين كان الشعب الكوردي شعبا قبليا مفككا يفتقر للقيادة الموحدة، وكان هذا هو السبب الذاتي

٩٣- أ، ل، فشر، (تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٨-١٩٥٠)، تعريب احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، دار المعارف، ط٨، القاهرة، بدون سنة طبع، ص٨.

المزمن في عدم حصوله على استقلاله، وتشكيل دولته، وبقائه تابعا، وبلاده مجزاة ومدمجة ببلدان أربع حتى الوقت الحاضر.

٤- أن جيوبولتيكية نقمة المكان وما ترتب على نتائج المعارك التي عالجها البحث فان الباحث توصل الى الفرضيات الجيوبولتيكية الثلاث التالية بخصوص القوى التي تناوبت السيطرة على كوردستان:

** أن القوة التي كان بإمكانها السيطرة على جبال كوردستان، كان بإمكانها امتلاك مفاتيح النصر شرقا أوغربا.

**ان القوة التي تمتلك تلك المفاتيح، كان بإمكانها السيطرة على الأقاليم المجاورة، واحتلالها، وتأسيس الإمبراطورية.

**ان القوة التي ليس لديها مثل هذه القدرات وتمركزت في جزء من هذه الجبال وتخندقت فيه، فان من شأن ذلك، ان يمنحها نوعا من توازن القوى فوق ارض كوردستان، مع أية قوة منافسة اخرى، أوقات الحرب.



الفصل الرابع

جيوبولتيكية السلوك للبيئة الجبلية
وسايكولوجية الإنسان الكوردي

المقدمة:

ليس غريباً أن يوصف الكوردي بأنه ابن الجبال، فالشعب الكوردي، نشأ وترعرع وتكاملت خصاله الحضارية وسماته الانثروبولوجية داخل بيئة جبال زاجروس القاسية، ذات المناخ المتقلب، والأرض المتناقضة في إنتاجها النباتي والحيواني منذ فجر التاريخ، وفي هذا يشير لارنارد لويس الى: (ان الكورد من بين جميع العناصر اللغوية والاثنية ذات الأهمية، هم وحدهم الباقون في الأراضي الوسطى للشرق الأوسط، وان هناك ما يدل على وجودهم هناك منذ غابر الزمان)[٩٤]. لذا فان الجغرافية السلوكية تحاول أن تجد أو تفسر مدى تأثير البيئة الجغرافية، وبخاصة ظروفها الطبيعية عبر الزمن، إضافة الى مخاطر وتهديدات

---

[٩٤]- Bernard Lewis, (The shaping of modern Middle East), Oxford University press, London, ١٩٩٤, p.١٩.

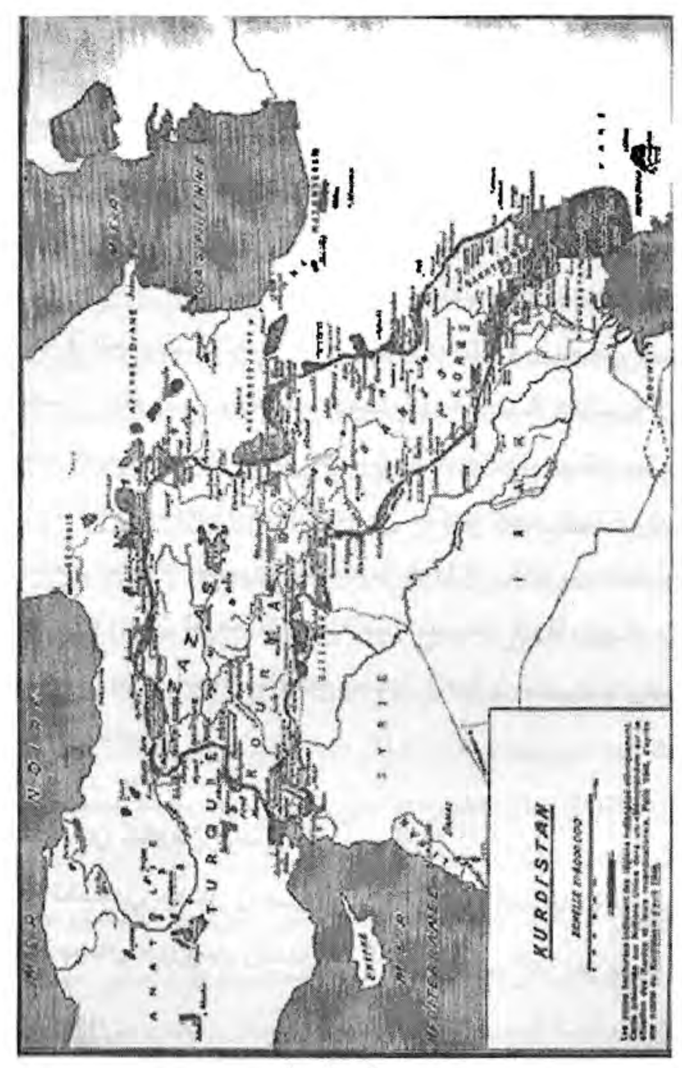
وتحديات البيئات الحضارية الأقرب والأبعد على شخصية الإنسان وسلوكه وتصرفاته، بل وحتى ممارساته الحضارية. فكوردستان تقع جغرافيا في ملتقى طرق الغزوات التاريخية العابرة لجبال كوردستان، سواء أكانت غزوات شرقية أم غربية، مما جعلها ان تصبح وكأنها محاط بأخطار جيوبولتيكية خارجية مفاجئة أحيانا، ومدمرة احيانا اخرى، بل ومؤثرة سلوكيا وحضاريا كذلك. إذا فان بقاء ووجود وثبات الأمة الكوردية في وطنها كوردستان منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وخضوع هذه الأمة لسيادات وسلطات قوى أجنبية على مدى مئات السنين، دون ان تستطيع تلك القوى من إذابتها، وتشتيتها، او صهرها، هو بحد ذاته ظاهرة جيوبولتيكية نادرة قل نظيرها وملفتة للنظر، ولا تتوفر الا عند الكورد. وهي حالة متفردة في علم الأجناس البشرية الانثروبولوجية الاجتماعية والسايكولوجية، وهذا ما يسعى البحث إليه من إيجاد تلك التأثيرات البيئية على بعض سلوكيات وممارسات الإنسان الكوردي التي تعتبر جزءاً مكملاً لشخصيته.

لقد تفاعل الإنسان الكوردي قروناً طويلة مع بيئته الجغرافية وتأثر بها، وتكيف مع خصائصها التي أثرت في تشكيل خصاله الانثروبولوجية والسايكولوجية والحضارية والتي أسميناها بجيوبولتيكية السلوك والمتمثلة بجبال زاجروس والمعروفة حالياً بجبال كوردستان والممتدة عبر أراضي كوردستان لمسافة

١٦٠٠كم وبعرض يتراوح ٩٥ ما بين ٢٠٠-٣٠٠كم – انظر الخريطة (١)، فأثرت على مر العصور على تكامل شخصيته، وهيئته الانثروبولوجية، وسلوكه الحضاري، وخصاله السايكولوجية ومواقفه وقراراته السياسية، بل ومصيره، باعتبار أن هذه السمات هي نتاج التفاعل وتكيف الإنسان الكوردي، عبر القرون، مع هذه البيئة الجبلية بكل تفاصيلها، لذا فان هذا البحث محاولة في الجغرافية السلوكية لإيجاد العلاقة بين بعض سمات الشخصية الكوردية وطباعها وسلوكها الجبلية كنتيجة لذلك التكيف البيئي مع الطبيعة الجبلية. لذا، فالجغرافية السلوكية تبعاً لذلك هي منهج (approach) من مناهج الجغرافية البشرية التي تختبر السلوك البشرى مستخدمة في ذلك مختبرين، الطبيعي (البيئي) أولاً، ومن ثم مختبر العلاقات الإنسانية لاحقاً، لبيان مدى تأثير المختبرين في إيجاد سلوكية نمطية غالبة في تصرفات وطباع اي فرد او مجتمع.

لمحة عن تكوين جبال كوردستان:

بدا تشكيل جبال زاجروس وامتدادها الشمالية الغربية المسماة بجبال طوروس والمعروفة اليوم بجبال كوردستان، في



خريطة (١)

حجم وشكل وامتداد كوردستان الجغرافي

الزمن الجيولوجي الثالث من عمر الأرض (سينوزويك) وبالأخص في الفترة المعروفة بـ (الأليجوسين) التي شهدت حدوث الحركات الألبية الالتوائية الرافعة للجبال الحديثة قبل حوالي ٣٥ مليون سنة الآن، والتي لا تزال تكويناتها تشهد، في العديد من مناطقها، حركات أرضية مختلفة كالهزات الأرضية وانفجار البراكين.

هذه الجبال تحولت بمرور الزمن إلى وطن للكورد في الوقت الحاضر، مع أنها كانت قد سكنت منذ القدم من قبل الإنسان القديم الأول (إنسان العصر الحجري) الذي عاش في كهوفها، كما يذكر الآثاريون والانثروبولوجيون والمؤرخون، فترة مائة ألف سنة حيث عثر في العديد من كهوفها على مخلفات إنسان ذلك العصر، بل وعثر في كهف شانيدر، في جبال برادوست، بكوردستان الجنوبية، على تسعة هياكل عظيمة لإنسان (نياندرتال) الذي سكن هذا الكهف في العصر الجليدي (البلاستوسين) الذي انتهى في كوردستان قبل حوالي ٢٠ ألف سنة من الآن، حيث أخذ المناخ فيها يتحول من المناخ الجليدي إلى المناخ المعاصر المسمى (هولوسين)، اي أن المناخ في كوردستان كان قد تحسن بدرجة كبيرة قبل حوالي (١١٠٠٠) سنة، وقبل (٩٠٠٠) سنة انتهت فترة برد العصر الجليدي كلياً[٩٦]، وهو تاريخ ظهور القرى الزراعية

---

[٩٦]- هـ.أ. رايت، (العصر الجليدي البلاستوسيني في كردستان، ترجمة فؤاد حمه خورشيد، مطبعة الجاحظ، بغداد، ١٩٨٦، ص ٨٢.

و Ralph S. Solecki, (Shanider: The first flower people), Alfred A. Knopf, New York, ١٩٧١,

الأولى في كوردستان، وأبرزها قرية (جرمو) شرق مدينة جمجمال الحالية[97].

توصف البيئة الجبلية الكوردستانية بكونها بيئة مرعبة، لشكلها المهيب والمخيف، ولخصوصيتها الطبوغرافية، وتقلباتها المناخية، ومواردها المائية المتذبذبة، وتفاوتها في إنتاجيتها الغابية والنباتية وحيواناتها الأليفة والبرية، وللفارق البيئي الواضح بين مناطقها الجبلية العالية (كويستان) أي الموطن البارد، التي تتمتع بميزات مناخ البحر المتوسط، ومناطقها الأقل ارتفاعاً والأقل تضرساً (كرميان) أي الموطن الدافئ، ذات المناخ شبه الجاف والحار، فضلاً عن ندرة طرقها السالكة وصعوبة المرور فيها وبخاصة طرق القوافل (الكاروان). لقد بقيت هذه الاعتبارات البيئية سارية المفعول منذ أقدم الأزمنة على الشخصية الكردية ولحين غزو الحضارة المعاصرة ووصول أدواتها التكنولوجية إلى هذه الديار، ولم يقتصر ذلك على الشعب الكوردي وحسب، بل على شعوب عدة، أثرت في معتقداتهم وثقافاتهم، فقد كان الإغريق (اليونانيون القدماء) يعتقدون أن جبل (أولمبياد) هو موطن الآلهة، ولا يزال التبتيون يعتبرون قمة ايفرست (جامولومكو) موطناً لآلهة الثلج، ولا تزال الجبال عند

PP.١٥, ٨٦.

[97] -Robert J. Braidwood and Bruce Howe, (Prehistoric investigations in Iraq Kurdistan), The University of Chicago Press, Chicago, ١٩٦٠, PP.٣٨-٥٠.

النرويجيين تمثل مارداً ثلجياً، كما توجد مثل هذه التصورات عنها لدى اليابانيين أيضاً، وفي ثقافات أخرى تعتبر الجبال بيئات مقدسة، مع كل هذا ظلت الجبال في ثقافة الشعب الكوردي، ومنذ نشأته فيها، تمثل الملجأ والعرين الذي لا غنى عنه لسلامته وديمومة عيشه وبقائه، لذا بقيت العلاقة بين الإنسان الكوردي وبيئته الجبلية منذ الألف الثالث قبل الميلاد، أي منذ عهد أجدادهم الكوتيين، وحتى يومنا هذا، تشكل موروثاً مميزاً ومؤثراً في تناغم الحياة الكوردية، وبناء شخصية الإنسان الكوردي وسلوكه الجبلي المنشأ. لذا فقد اضطرته الطبيعة، على مرّ القرون، أن يتأقلم معها، ويتكيف لظروفها الجغرافية، في مأكله، وملبسه، ومسكنه، وفي سلوكه، وبكل تفاصيل حياته الأخرى، مما أثّر في النتيجة في نتاج فولكلوره المميز عما لدى الشعوب الأخرى.

تاريخيا فضلت غالبية الشعوب سكنى الآقاليم السهلية، فهي اكثر إغراءً للاستقرار البشري من الجبال والهضاب لميزاتها الزراعية والغذائية. وان أهل السهول لا يضطرون لسكنى الجبال الا تحت الضغط الاقتصادي والفقر، ومع ان الجبال بيئة محدودة الإنتاجية مقارنة بالسهول، او كما تصفها سامبل، بأنها مرتفعات غير مضيافة (inhospitable highlands) وبأنها مناطق آخر ما يفكر بها الإنسان كمواطن للاستقرار (late occupation)، فان الشعب الكردي " على خلاف العديد من الشعوب" فضل منذ

الوهلة الأولى الاستقرار في الإقليم الجبلي لزاجروس ولم يغير هذا الوطن منذ ان وجد فيه متكيفا مع متغيراته الجغرافية مع مرور الزمن[٩٨].

والكورد هم أحفاد الكوتيين، الذين سماهم الآشوريين، بحدود الألف الثالث ق.م بـ (كاردو)[٩٩] وتبعاً لذلك فان اسم (كورد) قد اشتق أصلاً من كلمة (كوتى) الذين كانت بلادهم الجبلية (جبال كردستان الحالية) في ذلك الزمن تعرف بأرض (كوتيام)[١٠٠] أي أرض المحاربين[١٠١]. أما كلمة (كورد) الحالية فتعني، كما يؤكد ربلي عالم الانثروبولوجيا الأمريكي، بأنها تعني (الممتان) أو (من الطراز الأول)[١٠٢].

---

٩٨ - Ellen Churchill Semple, (Influence of Geographic environment on the basis of Ratzels system of Anthropo-Geography), Henrey Holt and company. New York , ١٩١١,pp.٤٣٩-٤٤٠

٩٩ - G.W. Prothero, (Armenia and Kurdistan), the Havill Press, London, ١٩٢٠, P.٢٤.

١٠٠- Arshak Safrastian,(Kurds and Kurdistan), London, ١٩٤٨, P.١٦.

١٠١ - Major Shaikh A. Waheed, (The Kurds and their Country), Lahore, ١٩٥٨, P.٤٤.

١٠٢ -Riply, (The races of Europe), London, ١٨٩٩, P.٤٤٦.

البيئة الجبلية والحياة من اجل البقاء:

امتازت حياة الكوردي على مر العصور بكونها حياة صراع مع طبيعة بلاده وجغرافيتها الجبلية والذي ترافق أيضاً، لسوء طالعه، مع صراعه التاريخي المزمن مع الغزاة الذين طالما حاولوا المرور عبر هذه البلاد أو احتلالها والتأثير في كيانه ووحدته وهويته، وهو في صراعه مع الخطرين كان يواجههما بنفس العنفوان، فهو مثلما واجه في العصور الغابرة الآشوريين والرومان والبرث، واجه بنفس القوة والمطاولة، المغول والفرس، والترك، وسائر الحكومات الغازية والمحتلة الأخرى. فممرات كوردستان الجبلية بسكانها الكورد، كانت تشكل الجسر الذي يربط الأناضول ببلاد فارس، وعبر هذا الجسر انتقلت حضارات الشرق والغرب[١٠٣].

لقد ساهمت العزلة الجغرافية للشعب الكوردي في هذه الجبال في تكوين وترسيخ الهوية القومية الكوردية عبر الزمن، وتوحيد المشاعر والمخاطر والأحاسيس عند جميع القبائل الكوردية، لذا عمدت الإمبراطوريات والدول التي سادت من حولهم، رغم تنوع الإيديولوجيات إلى أتباع سياسة اقتلاع الكورد من موطنهم الجبلي

---

[١٠٣]- General Staff, Mesopotamia Expeditionary Force,() Military Report on Mesopotamia), (Area ٩), Central Kurdistan, Simla, Government Monotype Press, ١٩٢٠, P.١.

الأصلي ونقلهم إلى مناطق غريبة نائية خارجها، معتقدين، كما يؤكد راندل، بأنه إذا تم إبعاد الكورد عن جبالهم وهضابهم فسيتخلون عن هويتهم القومية، لذا فإن مجرد استمرار وجود الكورد في رقعة جغرافية متواصلة، كأثنية متميزة، يعتبر أمراً استثنائياً ولافتاً للنظر[١٠٤].

فالكفاح الطويل للشعب الكوردي ضد محتليه جاء بفضل هويته الاثنية القوية (Strong ethnic identity). فالكورد هم المجموعة الآسيوية الوحيدة التي بقيت غير مختلطة بالموجات من الأمم الغازية لكوردستان، المكدونيين، الفرس، الترك العرب، وغيرهم، فجميع هؤلاء تركوا بصماتهم على شعوب آسيا إلاّ الكورد، في جبالهم، التي شكلت الملاجئ الحامية لهم، قاوموا تلك الغزوات، لذا بقيت هويتهم القومية حتى اليوم سالمة من المخاطر[١٠٥]. وهي محاولات جيوبولتيكية مورست وتمارس، حتى وقت قريب، من قبل كل من حكومات إيران، وتركيا والعراق وسوريه على حدٍ سواء.

وحول هذا السياق فقد توصل بورتن الى الاستنتاج الجيوبوليتيكي التالي: (أن جميع الإمبراطوريات الكبرى التي برزت وسقطت من حولهم، وكل الغزاة الذين عبروا من وطنهم من

---

[١٠٤] - جوناثان راندل، (أمة في شقاق: دروب كردستان كما سلكتها)، دار النهار، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٥، ٣٢.

[١٠٥] -Andre Singer, (The Dervishes of Kurdistan), Asian Affairs, Vol.٦١, Part ٢, June ١٩٧٤, P.١٧٩.

الشرق إلى الغرب وبالعكس، فشلوا جميعهم في ترويض الشعب الكوردي، وفرض ثقافتهم عليه، فالآشوريين والإغريق والرومان والبارثيين والفرس والعرب والمغول والترك، جربوا ذلك وفشلوا في إخضاع هذا الشعب الجبلي)[١٠٦].

لذا فان الوحدة القومية التي تضم الشعب الكوردي اليوم، إنما نشأت وتفاعلت بتأثير تقبل الكورد لظروف بيئتهم الطبيعية من جهة، وصراعهم مع أنظمة الحكم للإمبراطوريات والدول التي يتواجدون فيها متخذين[١٠٧]، على مر العصور والأزمنة، من جبالهم، الحليف الستراتيجي لضمان الدفاع المتفوق من اجل البقاء والثبات من جهة ثانية.

وتاريخياً أشار المؤرخ الإغريقي ديودوروس (في القرن الأول الميلادي) فشل كل المعارك مع الكورد لاحتلال أراضيهم، لما لتلك السياسات العدوانية من تبعات سيئة على الغزاة، قائلاً: (من الأفضل بقاء الكورد في معاقلهم الجبلية بدلاً من احتلالها، لأن ذلك سيتسبب للإمبراطوريات والجيوش التي تحتلها، بمتاعب تفوق ما يمكن تحقيقه من مكاسب، ويكفي منعهم بالقوة أو بالرضي، من تهديد السهول لدرء آذاهم)[١٠٨].

---

١٠٦ - Major H.M. Burton, (The Kurds), J.R.C.A.S., Vol.XXXI, Part I, January, ١٩٤٤, P.٧٢.

١٠٧ - احمد ناجي قمحه، (أكراد العراق الواقع والمستقبل)، السياسة الدولية، العدد ١٢٦، أكتوبر، ١٩٩٦، ص١٣٣.

١٠٨ - جوناثان راندل، مصدر سابق، ص٣٥.

فرضت البيئة الجبلية، وجغرافيتها العامة، ومخاطرها الدائمة على الإنسان الكوردي نمطاً معيناً من العيش والكفاح والصراع من أجل البقاء، أجبرته على التطبع على شدة التحمل وضراوة المعاناة، من جراء سكن الجبال ووديانها وسفوحها العارية، وقطع واختراق طرقها ومسالكها الوعرة، واجتياز ممراتها وقممها وخوانقها المهلكة لتوفير متطلبات الرزق اليومية، أو للرعي فيها أو الاحتطاب منها أو للزراعة فيها وكلها مهام شكلت أمامه صعوبات جسدية وعضلية لا تطاق صيفاً، يقابلها شتاء بارد قارس مدعوم بفترات من سقوط الثلوج التي قد تقطع عليه المسالك والممرات وحتى أزقة مخيمة أو قريته، وتقفل عليه المراعي لأسابيع أو شهور متتالية، الأمر الذي يضطره إلى العيش مع حيواناته أسير المنزل على ما يتوفر داخل المنزل من مئونة مدخرة للعائلة، ومن علف مخزون لقطيعه، وإلا فالموت المحتم مصيره. فالسمات الأساسية للبنية الجغرافية لكوردستان هي القارية والتطرف المناخي اللتان أثرتا كثيرا على سايكولوجية الإنسان الكوردي عبر العصور ولا تزال تؤرقه حتى يومنا هذا. فهذا الخطر البيئي الدائم خلق عند الكوردي ظاهرة التحسس أو التنبؤ بأي خطر قادم أو محتمل، الأمر الذي يجعله دوماً على أهبة الاستعداد لمواجهته أو التصدي له أو محاربته، بيئياً كان ذلك أم بشرياً.– انظر الخريطة (٢).



الخريطة (٢)
شتاء وثلوج جبال كوردستان

ولأن الكوردي تعلم من الطبيعة الصبر وأن يحتاط لأزماتها وتقلباتها ومصائبها الطبيعية، كانحباس المطر، وقلة الحاصل الزراعي، وفقر المرعى، أو بسبب كوارثها البيئية كالمجاعات أو انتشار الأوبئة أو الأزمات البشرية كالإغارات وحالات الغزو والحصار، فقد اضطره كل ذلك أن يبني قراه ومراكز تجمعاته في مواقع جبلية حصينة تضمن له الحماية، وتسهل عليه عمليات الدفاع والهجوم، بل ان الكورد توصلوا بتجارب القرون إلى ان القرى المبنية على سفح الجبل تمتاز بمناخ واحد وعلى حد

قولهم (يەك هەوا) أي أنها اقل تعرضاً لتقلبات درجات الحرارة العنيفة من تلك التي تبنى في السهول[١٠٩].

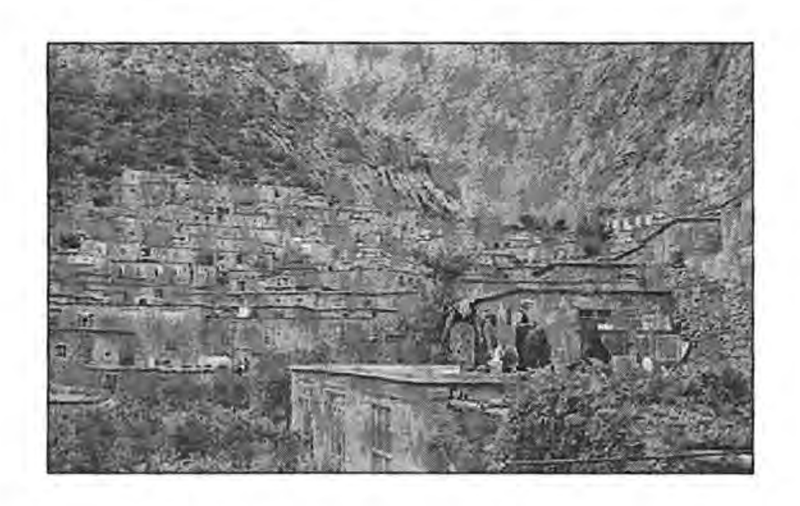
إن كل ذلك كان يشكل بالنسبة للكوردي، وعلى الدوام، تحديات بيئية واجب التحسب لها، وهذا ما خلق عنده سمة التميز والتفوق البدني وإدامته وترويض نفسه على الصلابة الجسدية والتأقلم مع ظروف البيئة وهي جميعاً ظروف قادته إلى أن يتسم بسلوك التحدي والمطاولة عند الأزمات، لذا فهو ينظر إلى الجبال باعتبارها المسرح الآمن لمزاولة نشاطها الاجتماعي والاقتصادي والعسكري، وبأنها خير رفيق ومعين له في فترات الشدة والصراع من أجل البقاء، وهو ما ينطبق مع المثل الكوردي الشائع: (لا صديق لنا سوى الجبال) - (No friends but the mountains)[١١٠]، لان الجبال كانت حليف كل الثورات الكوردية. –انظر الصورة (١).

---

[١٠٩]- C.J. Edmonds, (Kurds, Turks and Arabs), Oxford University Press, London, ١٩٥٧, P.٩٩.

. والترجمة العربية: س.جي. ادموندز، (كرد ترك وعرب)، ترجمة: جرجيس فتح الله، مطبعة التايمز، بغداد، ١٩٧١، ص٩٨.

[١١٠]- John Blloch and Harvey Morris, (No friends but the mountains: The tragic of the Kurds), Oxford University Press, ١٩٩٢. And, Marc R. Major, (No friends but the mountains), Social Education, March, ١٩٩٦, Vol.٦, No.٣.



الصورة (١)
الجبال هي الملجأ والحليف الدائم

وعموماً يمكن القول أن ظروف البيئة الطبيعية لجبال كوردستان ومخاطرها وضغطها على الإنسان الكوردي على مر العصور، إضافة إلى ما كان يتعرض له فيها من مخاطر بشرية من شعوب الجوار الجغرافي القريبة والبعيدة على حد سواء، فضلاً عن مشكلاته الداخلية، ولدت لديه كما يذكر الميجرسون: (حالة من عدم الثقة بالآخرين من ناحية، والشجاعة الشخصية والخفة المتناهية والرقابة العالية المتطورة)[١١١].

١١١- Ely Banister Soane, (To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise), Cosimo, New York, ٢٠٠٧, P.٣٩٤.

البيئة الجبلية والخصائص القتالية للكوردي:

فرضت ظروف البيئة الجبلية وخصائصها الدفاعية وما كان يتعرض له الكورد عبر تاريخهم من حصار قبلي أو إقليمي، أو بسبب كالإغارات والغزوات الأجنبية الخارجية على بلادهم ان يكونوا على أهبة الاستعداد للدفاع عن أموالهم وأعراضهم ووطنهم وأن يتحولوا عبر الزمن إلى مقاتلين بالفطرة، ومن طراز خاص، والى متخصصين في حروب الأنصار الجبلية تحديداً، سواء أكان ذلك باستخدام الأسلحة القديمة في العصور الغابرة، أو بالسهام والنبال، أو بالسيوف والخناجر، أو بالأسلحة الخفيفة المعاصرة، إذ قلما تجد كتاباً يتحدث عن الكورد وليست فيه إشارة واضحة إلى هذه السمة للشخصية الكوردية التي تمتاز بالروح القتالية والثبات ودقة التصويب وشدته، ولعل جزء من هذه الروح ولدته كما يذكر نيكيتين شجاعة الكوردي واستبساله في الصيد في بيئته الجبلية، إذ نادراً ما تخطئ رصاصته الوعل الجبلي[١١٢]. فضلاً عن صنعة التحمل التي تتطلبها ساحات المعارك من حفر للخنادق والمواضع أو الانتقال السريع من جبهة إلى أخرى. يقول الصحفي آدم شمدت في كتابه (رحلة إلى رجال شجعان) أن قابلية التحمل التي يتحلى بها المحاربون الكورد تقود الإنسان إلى الذهول

---

[١١٢]- باسيل نيكيتين، (الأكراد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، ترجمة نوري طالباني، ط٣، مؤسسة حمدي، السليمانية، ٢٠٠٦، ص١٤٨.

احياناً، فمسيرة ثماني او تسع أو اثنتي عشر ساعة هي روتين يومي، والمسير معناه السير على الأقدام بكل معنى الكلمة. أما في لحظات قتاله فان تكتيكه يتطلب السرعة والصبر والخدعة والحركة ليلاً والتفرق السريع، لذا أصبحت حرب العصابات شيء من طبيعة الكورد[113]. التي تتطلب منه الصبر والحذر والمطاولة وقدر كبير من التحمل والجرأة والشجاعة وعدم الرهبة في المواجهة التي هي من صفاته الدائمة.

إن توافق الخصال القتالية الكوردية مع الطبيعة الجغرافية لجبال كوردستان منحت الكوردي، على مر التاريخ، صورة المقاتل المهاب المتميز حتى أكتسب الكورد عموماً، لدى بعض الكتاب، صفة (فرسان الشرق)[114]، وقد استفاد من هذه الصفة القتالية لدى الكورد كل من الفرس في بناء إمبراطوريتهم الصفوية، والعثمانيون في مد إمبراطوريتهم العثمانية، والعرب في نشر الدين الإسلامي. ولعل من المفيد للقارئ أن نعطي بعض الأمثلة التاريخية لما يمتاز به الكورد من سمعة في هذا الجانب:-

أشار القائد اليوناني (أكزنفون) عام ٤٠١ ق.م عند انسحابه برفقة العشرة آلاف مقاتل يوناني عبر كوردستان وبالتحديد من

---

[113]- دانا آدم شمدت، (رحلة إلى رجال شجعان)، ترجمة جرجيس فتح الله، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون سنة طبع، ص١٠١، و
Major H.M. Burton, Op. Cit, P.٦٨.

[114]- ف.ف. مينورسكي، (الأكراد: ملاحظات وانطباعات)، ترجمة د. معروف خةزندار، مطبعة النجوم، بغداد، ١٩٦٨، ص٦١.

مضيق زاخو إلى براعة الكورد القتالية في ذلك الزمن قائلاً: (كانت اسلحتهم لا تعدو الأقواس والمقاليع، وكانوا نبالة في غاية الكفاءة. اما اقواسهم فكانت بين اربعة او خمسة اقدام طولاً وسهامهم أطول من ثلاثة اقدام، وكانت سهامهم تخترق التروس والدروع. والكورد قوم بواسل جدا، وغير خاضعين للعاهل- الفارسي-، والحقيقة ان جيشا ملكيا قوامه مائه وعشرون الفا غزا مرة ديارهم، فلم يعد منهم فرد واحد بسبب وعورة الأرض التي وجب عليهم ان يوغلوا فيها)[١١٥].

ووصفهم الإسكندر المكدوني عام ٣٣١ق.م، على ضوء معلومات قوات استطلاعه قبل معركة كوكاميلا (اربيلا) الحاسمة عن الخيالة الميديين المرافقين لجيش داريوس بأنهم (فرسان ماهرون كانوا يلبسون سراويل فضفاضة وعمائم تنزل أطرافها على ظهورهم وقد تبين إن هؤلاء المقاتلين جاءوا من الجبال في الشرق) أي من جبال كوردستان الممتدة شرق اربيلا (اربيل)[١١٦].

أما كورزن، فقد أشار إلى أن (مانكوخان) إمبراطور المغول، عندما أراد أن يرسل أخاه (هولاكو) إلى إيران وبلاد ما بين النهرين، أوصاه بجعل الأوضاع غير مريحة بالنسبة (للكورد) كنصيحة منه لمنع مواجهتهم المباشرة في الطرق والمسالك الجبلية

---

[١١٥]- زينفون، (حملة العشرة آلاف: الحملة على فارس)، ترجمة يعقوب إفرام منصور، مكتبة بسام، الموصل، ١٩٨٥، ص١٦٦, ١٨١.

١١٦- هارولد لامب ,(الإسكندر المكدوني), ترجمة عبدالجبار المطلبي ومحمد ناصر الصايغ, المكتبة الأهلية, بغداد,١٩٦٥, ص ٢١٧.

لكوردستان[١١٧]، وهذا يعني أن سمعة الكورد القتالية كانت من السعة والانتشار ما أوصلها بعيداً إلى منغوليا وآسيا الوسطى. وقد دللت الأحداث اللاحقة صحة هذه النصيحة، إذ كان الشعب الكوردي الشعب الوحيد من بين الشعوب الإسلامية (الذي تجاسر وقاوم الغزو المغولي عند أسوار مدينة اربيل وقتل منهم زهاء (٢٠.٠٠٠) مغولي)[١١٨]، الأمر الذي اضطرهم إلى تغيير مسير توجههم نحو بغداد. فحول هذه الرجولة وأمثالها يستنتج مينورسكي أنه (من الممكن معرفة الكوردي من النظرة الأولى برجولته وقيافته المهيبة المعبرة التي تشير في نفس الوقت إلى الهزء بالخوف أو بعبارة أخرى صفات الأبطال القدماء)[١١٩].

بعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى وتفكك الدولة العثمانية وانسلاخ معظم أراضيها بفعل معاهدة سايكس–بيكو، وجد أتاتورك في بداية ظهوره وضعفه انه بحاجة ماسة إلى مساندة العشائر الكوردية، فاستغل مشاعرها القومية والدينية بوعود ميكافيلية مصوراً لهم أن تركيا المستقبلية هي للشعبين التركي والكوردي[١٢٠]، وأن سياسة الحلفاء هي ضم الولايات الكوردية إلى الدولة الارمنية (المسيحية)، وعقد من أجل ذلك مع الكورد

١١٧-Hon George N. Curzon, (Persia and Persian Question), Vol. II, Longmans, Green and Co., London, New York, ١٨٩٢, P.٢٢٧.

١١٨- Major H.M. Burton, Op. Cit, P.٧٢.

١١٩- ف.ف. مينورسكي، المصدر السابق، ص٣٥.

١٢٠ -Arshak Safrastian, Op. Cit, P.٧٢.

مؤتمري ارضروم (٢٣ تموز-٦ آب ١٩١٩) وسيواس (٤-١١ أيلول ١٩١٩)[١٢١] فذادت القبائل الكوردية عن الوطن المشترك وأبلوا بلاءً حسناً في طرد كل من الأرمن واليونانيين مما يعرف بأراضي تركيا الحالية بما فيها كوردستان الشمالية. وكإحدى الصور الرائعة للمقاتلين الكورد كما يعرضها لازاريف من ذلك الزمن، تبرز قصة المرأة الكوردية (فاطمة خانم) في ضواحي أنقرة (من أقرباء القائد سمكو شكاك) التي قادت مفرزة عسكرية كردية ضمت عدة مئات من المقاتلين الكورد، وكانت ترتدي بزة عسكرية رجالية وتميزت بالأساليب الرجالية، وتمتعت بنفوذ كبير بين صفوف الرجال التابعين لها، وكانت مفرزتها المفرزة الكوردية الوحيدة التي حاربت ضد اليونانيين في صفوف جيش المجلس الوطني الكبير التركي. وقدمت من أجل ذلك العديد من التضحيات الأمر الذي حدى بالمؤلف الفرنسي بول جانتيزون أن يقول عنها: (من الجائز تماماً أن الجندي المجهول المرسوم على النصب التذكاري الذي استشهد بالقرب من دملو- بينار ينتمي إلى العرق الكوردي)[١٢٢].

بسبب الشجاعة والبسالة وقدرات الكوردي القتالية، وخاصة إتقانه لفن حرب العصابات، انشأ الجيش الأحمر (السوفييتي) أثناء الحرب العالمية الثانية، فوجاً خاصاً من الكورد وباسمهم،

---

[١٢١]- دزموند ستيوارت، (تاريخ الشرق الأدنى الحديث)، دار النهار، بيروت، ١٩٧٤، ص٢٤١.

[١٢٢]- م.س. لازاريف، (المسألة الكردية ١٩١٧-١٩٢٣)، دار الرازي، بيروت، ١٩٩١، ص٢٦١.

وقد اسهم هذا الفوج الكوردي مساهمة فاعلة في تحرير مدينة (منسك) الروسية من الاحتلال النازي[١٢٣].

ولأن الكوردي يتصف بكونه مقاتل جيد، فقد الصقت به على الدوام صفة المتمرد. فالتمرد ليست صفة أو سمة سايكولوجية للكوردي بقدر ما هي ظاهرة تفرضها ظروف الظلم الملحقة به، ظلم الطبيعة من جهة، وظلم الحكومات التي يخضع لها من جهة ثانية. فالثورة على ما يتعرض له من كبت وحرمات وتغيير الهوية من الحكومات التي تضطهده سياسياً، وتحاربه عسكرياً، وتحاصره اقتصادياً، وفوق ذلك تتكتم على ممارساتها تلك إعلامياً، هي استجابة أخلاقية لما تعلمه من بيئته الجبلية من العيش بحرية، وعدم تقبل أي نوع من الاستبداد الجديد، بعد الظلم التاريخي الذي لحق بأمته، يقول يوست ر. هيلترمان: لقد تعرض التاريخ الكوردي للتشويش والقمع من قبل الدول التي يعيش الكورد ضمن حدودها وخضعوا لنيرها الاستبدادي طويلاً[١٢٤].

فالاستبداد وتشويه التاريخ الكوردي، وإنكار الخصوصية القومية الكوردية، ومحاربة الثقافة الكوردية، بل وإبادة الكورد بلا رحمة أو شفقة، وتهجيرهم ونفيهم لأتفه الأسباب هي من دواعي

---

[١٢٣]- جوناثان راندال، المصدر نفسه، ص٨٥.

[١٢٤]- يوست ر. هيلترمان، (قضية سامة: أمريكا والعراق والهجوم الكيمياوي على حلبجة)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص١٥٩.

الثورة الحتمية عند الكوردي، وهذا هو السبب في اندلاع العديد من الثورات الكوردية والتي من ابرزها، ثورة الأمير بدرخان بك ١٨٢١-١٨٤٧، وثورة يزدان شير ١٨٥٤، وثورة عبيد الله النهري ١٨٨٠-١٨٨١ ضد التسلط العثماني، وثورات الشيخ سعيد ١٩٢٥، وثورة أكرى داغ ١٩٢٦-١٩٣٠، وثورة درسيم عام ١٩٣٧ ضد الحكومة التركية، وثورة عام ١٩١٩-١٩٣٢ في كوردستان العراق بقيادة الشيخ محمود الحفيد وثورة سمكو شكاك في كوردستان إيران ١٩٢٠-١٩٣٠ ضد الشاه في إيران. وثورات بارزان ١٩٣٢-١٩٤٥، وثورة أيلول ١٩٦١-١٩٧٥، والثورة الكوردية المعاصرة ١٩٧٦-١٩٩٠ في كوردستان العراق، وثورة عام ١٩٤٦ في كوردستان إيران. فهذه كلها ثورات أرغم الكورد على إعلانها بوجه الطغيان والاستبداد الحكومي الذي ينكر الاعتراف بوجود الشعب الكوردي ووطنه كوردستان. فبعد أن فشل الحلفاء في إيجاد دولة كوردستان بعد الحرب العالمية الأولى تشظى الوطن الكوردي بسكانه، وأخضع لأربعة دول رئيسة هي تركيا وإيران والعراق وسوريا، وضل الشعب الكوردي يواجه مصيراً مجهولاً في هذه الجهات الأربعة رغم ثوراته. أن معاناة الكوردي لمريرة وطويلة عبر الزمان والمكان رغم ما يتسم به من قوة التحمل وجسارة الرد، فقدر الكوردي، كما يقول راندل: (أن يحمل الف حسرة ويذرف الف دمعة، ويطلق الف ثورة، ويشعل الف أمل)[١٢٥].

---

[١٢٥] - جوناثان راندال، المصدر نفسه، ص٢٣.

إن الموقع البيني لجبال كوردستان، بين أقاليم جافة وشبه جافة، وبين أقوام وحكومات تتبع، في الغالب، سياسات غير ودية مع الشعب الكوردي، ولأن الكورد حرموا من تشكيل حكومة قومية منذ سقوط مملكة ميديا ٥٥٠ ق.م، فقد أصبح قدر الكوردي في إثبات وجوده أمام كل التحديات، التي سبق ذكرها، هو أن يكون مستعداً للتضحية بالنفس في ساحات الوغى كلما تطلب الأمر ذلك، لذا فقد اختار لنفسه طوعاً لقب (البيشمه ركه) أي (المواجه للموت) في حالة الهجوم والدفاع ضد أي عدو محتمل، وهو خيار فرضته عليه ظروف بلاده الجغرافية مادام لايملك من الحلفاء والأصدقاء سوى جباله.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن أرد شير الأول مؤسس الدولة الساسانية حاول أن يفرض سيطرته الكاملة على الكورد في أعوام ٢٢٤-٢٢٦م، لكن سلفه أرد شير الثاني تمكن من القضاء على إماراتهم شبه المستقلة ووصف المقاتلين الكورد بـ(جان سبار- Jan spar) وهي كلمة تعني بالفارسية والكردية معا التضحية بالنفس او الروح، وهذا المعنى ليس ببعيد عن معنى البيشمه ركه (Peshmerga) المرادف لها.[١٢٦] – انظر الصورة (٢).

[١٢٦]- Mehrdad, R.Izady (The Kurds: AconciseHandbook), Taylor&Frances, Washington D.C, ١٩٩٢, P.٤٠...and, Michael G.lortz,(Willing to face death:A history of Kurdish military forces- The Peshmerga – from the



الصورة (٢)

مراقبة السهل والممرات الجبلية

ولعل من الغريب في الخاصية السايكولوجية القتالية الكوردية، رغم كل ما يشاع عنها من عنف وقسوة وتطرف، هي التسامح

Ottoman Empire to present day Iraq),TheFlorida State University, College of social science,M.A..THESIS,٢٠٠٥.P.٣

الذي يتصف به الكورد عموما، عند المقدرة والسيطرة على الأحداث وتجاوزها، او عند الانتصار في المعارك وانفراج الأزمات.

فخلاصة من ويلات الكوارث والأوبئة، مثل القحط او انتشار الأوبئة، كانتشار وباء الطاعون عام١٧٥٧ وعام ١٧٧٣، وسلامته من حصار القوى الغازية عبر التاريخ، وأخيرا في نجاحه في تجاوزات وأزمات بيئته الشتوية القاسية التي سرعان ما يتناساها حالما تبرز الطبيعة مفاتنها وإنتاجيتها في الربيع ابتداء من ٢١ آذار من كل عام، حيث احتفالية (عيد نوروز)، فهذه الأحداث التاريخية رسخت لدى الكورد، بمرور الزمن، عادة التسامح لكل حدث قاس حالما ينتصر عليه أو عندما يتجاوزه بنجاح، ولعل من ابرز الأمثلة المعاصرة لحالات التسامح في كوردستان العراق مايلي:

١- طوال سنوات الثورة الكوردية١٩٦١-٢٠٠٣ كان الثوار الكورد يحتفظون، بفعل سمة التسامح، بالأسرى من الجنود والضباط من الجيش العراقي في ملاذات آمنة في الخطوط الخلفية ويتعاملون معهم وفق ضوابط أسرى الحرب ليطلقوا سراحهم عند بدء كل مفاوضة مع السلطة، في حين كان الجيش الذي ينتمون إليه يقتل الأسرى من البيشمه ركه، مثلما كانوا يطلقون النار على الجرحى منهم أثناء المعارك ويدفنوهم داخل المعسكرات.

٢- بعد صدور القرار الأممي المرقم (٦٨٨) عام ١٩٩١ وتحويل كوردستان العراق الى ملاذ آمن للشعب الكردي، سحبت الدولة إدارتها من إقليم كوردستان واستسلم جراء ذلك قرابة فيلق كامل من الجيش العراقي لقوات البيشمه ركه، وبفعل سمه التسامح أيضا، أصدرت القيادة الكوردية امرا باعتبار كل هؤلاء المستسلمين ضيوفا للشعب الكوردي يجب معاملتهم كأخوة، وفعلاً تناسى الشعب الكوردي ما كان تفعله هذه القوات باهلهم وقراهم من قصف وتدمير، ولشعبهم من ارهاب وقتل عشوائي، قبل ساعات، وأكرم ضيافتهم وأرسلهم، فيما بعد، معززين مكرمين الى أهلهم وذويهم، دون ان يصاب احد منهم بأذى او يواجه باستفزاز.

٣- وصفة التسامح الداخلي الشاملة الأخرى حدثت اثر اندحار حكم الدكتاتور صدام حسين عام ٢٠٠٣ حيث أصدرت قيادة الثورة الكردية عفوا عاما وشاملا عن كل الكورد الذين ساهموا مع النظام الدكتاتوري في قمع أبناء شعبهم من الفرسان وأمرائهم، في وقت كان الكثيرون يتوقعون ان تسفك دمائهم جراء ما ارتكبوه، مع ذلك النظام، من جرائم بحق شعبهم ووطنهم، الا ان سمه التسامح، المشار إليها آنفا، تغلبت مرة أخرى علي صفه الانتقام. وقد تمثلت سمة التسامح هذه بالعديد من القادة الكورد، فهي كانت من خصال القائد الكوردي التاريخي صلاح الدين الأيوبي (١١٧٤-١١٩٣) في تعامله مع الصليبيين، وتمثلت كذلك

بالقائد القاضي محمد، وبالراحل الخالد مصطفى البارزاني في سنوات نضاله المسلح (١٩٣٢-١٩٧٩)، وكذلك بالقيادات الكوردية المعاصرة، وكان من ثمرة ذلك وحدة الصف الكوردي وازدهار إقليم كوردستان وضمان امنه واستقراره.

نعتقد أن تزاحم الملاحظات التاريخية، حول الميزة القتالية، للإنسان الكوردي هي التي أبرزت السمة القائلة بأن الكردي شخص عراك، ومحب للخصام، والقتال، وأنه محارب جبلي من طراز خاص. في الواقع أن هذا شيء فيه الكثير من الصحة للشخصية الكوردية في حالات تعرضه للغدر، والإكراه، والعدوان: يقول جوناثان راندل بشأن القدرة القتالية للكوردي: (ضع كوردياً على قمة جبل، وأعطه بندقية، وبصلاً وخبزاً، وهو يتكفل بوقف طابور عسكري بأكمله)[١٢٧]. اما في غير ذلك، فان الإنسان الكوردي، شخص وديع وأمين ورائع.

البيئة الجبلية وشخصية المرأة الكوردية:

لا تتوقف كتب التاريخ عند الكورد او عند نسائهم الا لماما، هنا تقول ماريا أوش: (لعل سبب ذلك يعود الى موقعهم الهامشي (الجغرافي- ف) عند حدود الإمبراطوريات والدول التي تعتبر المفاعيل التاريخية الرئيسة في المنطقة، وان تاريخ المنطقة القديم، هو تاريخ إمبراطوريات ناجحة، وان التاريخ الحديث هو

---

[١٢٧]- جوناثان راندال، المصدر نفسه، ص٨٥.

أيضا، الى حد كبير، تاريخ القوى المهيمنة، لذا أصبح الكورد مهمشون في كل الثقافات المضيفة لهم، وبالتالي فان المؤرخين الذين يمثلون الاتجاه السائد لا يغطون التاريخ من وجهة نظر الكورد او دورهم فيه. فما بالك بتاريخ المراة الكوردية الحافل والمشرف.

ولأن الكوردي مضطر للعمل الشاق ضمن بيئته الجغرافية القاسية، فهو بحاجة ماسة إلى عون كل افراد أسرته، وبخاصة زوجته، ومن هنا برزت وحدة وتماسك الأسرة الكوردية، ومن خلالها برز دور المراة في الأسرة والمجتمع الكوردي كأحد أقطاب التربية والتوجيه والإدارة المنزلية والاجتماعية. وهذا ما عرفه بعض الرحالة والكتاب الذين زاروا كوردستان في القرن التاسع عشر الذين أشادوا بدور المرأة وحريتها في الحياة الاجتماعية الكوردية. يقول فردريك ملنجن (عام ١٨٧٠): من بين الكورد تبرز المراة الكوردية لتعمل كل شيء، فهي تهيئ الوجبات، وتهتم بالأنعام، وتحلب القطيع. وهي الوحيدة المتخصصة بالنسيج وحياكة الصوف والسجاد والفرش والخيام وبقية أنواع الأنسجة التي تتباهى بها البلاد، كما رأيت نساء تسوس الخيول، ويسرجن الخيول لأزواجهن، ومن خصالهن الرفيعة مشاطرة الرجال في الثبات والقرار ومسؤوليات وواجبات القبيلة[١٢٨]، وكان

---

١٢٨ -Major Frederick Millingen, (On the Kurds), J.R.A.I., Vol.٢, No.٢, ١٨٧٠, P.١٨٠.

عليها أن تستقبل، في حالة غياب زوجها عن البيت، الضيوف من دون أن تبدي ذلك الاستحياء المزيف الذي تبديه نساء الأقوام الأخرى المجاورة للكورد. ونتيجة لهذا الطبع الواضح والصريح، والحياة الحرة الطليقة كما يقول (سون) أصبحت اللغة الكوردية، تبعاً لذلك، تخلو من كلمة دالة على (بغي prostitute) لأنها كلمة غريبة لا تتوفر إلا في الحواضر[١٢٩].

اما مقام المرأة الكوردية في المجتمع الكوردي فقد قيّمه الرحالة البريطاني ريج عام ١٨٢٠ بقوله: (إن مقام النساء في كوردستان هو أفضل بكثير من مقام النساء في تركيا وإيران واعني بذلك أن أزواجهن يعاملونهن على قوم المساواة، إنهن يسخرن من خضوع النساء التركيات خضوع العبيد ويحتقرنهن)[١٣٠]. أما مكانتها المرموقة في المجتمع فقد أشارت إليها العديد من المصادر بما خلاصته: أن المرأة الكوردية تتمتع

---

[١٢٩] Ely Banister Soane, Op. Cit, ٣٩٧.

وللتفاصيل الأكثر حول المرأة الكردية يراجع:

Henny Harold Hansen, (The Kurdish Woman's Life), National Museum, Kobenhavn, ١٩٦١, P.١.

C.J. Edmonds, Op.Cit, P.١٠٣.

كونتر دشنر، أحفاد صلاح الدين، ترجمة عبدالسلام مصطفى صديق، ١٩٩٢، بدون مكان طبع، ص٦٣.وكامران موكري، حرية المرأة الكوردية، السليمانية، ١٩٧٨، ص٦-١٢(مطبوع بالرونيو).

١٣٠ -Claudius James Rich, (Narrative residence in Koordistan), Vol. I, Second Edition, Westmead, ١٩٧٢, P.٢٨٥.

بشكل واضح بحرية أكثر من نساء الشعوب المجاورة للكورد كالفرس والعرب والترك. فهي لا تعرف الحجاب بل وتمتاز المرأة الريفية منهن بقدرة بدنية عالية تمكنها من الإتيان بأعمال ثقيلة، وهي في كل طبقات المجتمع تتمتع باحترام فائق ويستمع لكلامها، فهي قد تتبوأ قيادة القبيلة، وتتولى قيادتها بنجاح وكذلك بالنسبة للنساء الحضريات في مجالات التعلم والإدارة[١٣١].

ولما كانت الظروف الطبيعية تضطر الرجل لأن يبقى معظم ساعات النهار في حقوله الجبلية او في الوديان النائية بعيدا عن المنزل، فقد أوقع ذلك على الزوجة أعباء مسؤولية الاقتصاد المنزلي، فضلا عن تربية الأطفال، كل ذلك منحها ثقة الرجل المطلقة في تحمل مسؤولية البيت أثناء ساعات غيابه الطويلة، فخلق ذلك لها مكانة مرموقة ومتميزة، ليس في قلب زوجها وحسب، بل نالت احترام و طاعة كل أفراد أسرتها.

يشير هوراتيو، الى دور المرأة البارز في الأسرة الكوردية من خلال مراقبته لسلوك أحدى الأسر الكوردية التي استأجر عندها غرفة للإقامة عام ١٨٤٠ قائلا:- (كانت العائلة الكوردية التي تسكن الغرفة في الجانب الآخر من البيت تتبادل الحديث الشيق طوال المساء، وقد بدا لي، من ذلك الحديث، المكانة السامية للنساء الكورديات داخل أسرهن، مقارنة بمكانتها في العائلات التركية والفارسية،والتي مثلت لدي، في الحقيقة، أحدى ظواهر

---

١٣١ -Henny Harold Hansen, Op. Cit., P٧-٨.

الشرق النادرة التي ذكرتني بالعالم الغربي، واعني بذلك وبشكل خاص، حريتهن وتصرفهن العائلي غير المتكلف في تبادلهن الحديث مع أزواجهن و بشكل متساو، واحيانا بكبرياء سلطوي. وكان يبدو لي على الدوام وجود ثقة متبادلة وتعاطف كامل بين أهل الدار في المجتمع الكوردي اكثر مما عند جيرانهم المحيطين بهم. ولما حان وقت سفري قدمت أجور الخدمة لصاحب الدار لكنه سلم النقود في الحال لزوجته، ففي مثل هذا السلوك الراقي الذي لمسته، فأن الزوجة كانت تمثل، عند ذلك الرجل، أمين صندوق لتلك الأسرة الكوردية).[١٣٢]

والمراة الكردية، ان سمح لها، فهي أيضا مقاتلة من طراز خاص وغير هيابة وملهمة للروح الحماسية لأخيها الرجل في المعارك.وان مشاركتها في القتال ليست بظاهرة غريبة في التاريخ الكوردي. ففي عهد الحكومة الزندية الكوردية في إيران (١٧٥٠-١٧٩٤) سمحت هذه الحكومة الكوردية للنساء الكورديات بالانخراط في القتال مع أزواجهن ضد الهجمات التي كانت تتعرض لها دولتهم من قبل الأفغان، بغية زيادة عدد المقاتلين ومضاعفتهم بسبب التفوق العددي لأعدائهم. وقد استمر دور النساء في هذا المجال حتى بين صفوف الحركة القومية الكوردية حتى الوقت الحاضر واثبتن جدارة وكفاءة متميزة[١٣٣].

١٢٨-Horatio Soathgate,(Narrative .of a tour through Armenia ,Kurdistan, ,Persia and Mesopotamia with an introduction),Appleton Son, New York,١٨٤٠,p.١٤٠

١٣٣ - Michael G.lortz,op.,cit.,p.٣



صورة رقم (٣)
تدريب المرأة الكوردية على الرماية من على ظهر الحصان

يمكن مما تقدم القول في هذا المجال.، صحيح ان المرأة الكوردية هي الأخرى تشكل نصف المجتمع الكوردي، لكنها في نفس الوقت هي التي تنجب النصف الآخر وتربيه، وبذلك تكون المرأة الكوردية في واقع حال المجتمع الكوردي وتطوره إحدى دعائم ذلك المجتمع حتى في أوقات الأزمات والحروب، ففي الوقت الذي يخوض فيه زوجها، أو أبوها، أو أخوها القتال لصد العدوان، تكون هي الأخرى قد اتخذت من الكهوف، أو المنعطفات الجبلية، أو الحفر الكبيرة بيتا لها ولأبنائها متحملة مسؤولية شؤونهم جميعا لتضمن بذلك المعنويات العالية للرجل في ساحات الوغى ولتضمن له الاطمئنان على سلامة أهله وعرضه لحين انفراج

الأزمة بالنصر، أو بالانسحاب من ذلك الموقع إلى مواقع جبلية أكثر أمنا ومنعة. وبذلك تصبح معاناتها، في الأزمات القومية، لا تقل عن معانات أخيها الرجل. وبذلك فهي الأخرى مناضلة واجهت الأزمات بطريقتها الخاصة، وبتحديها، وبصمودها الذي لا يقل جدارة عما يمتاز به الرجل الكوردي في هذا المجال .

الجغرافية وسايكولوجية الكوردي:

لقد فرضت البيئة الجبلية على الكوردي عزلتها الجغرافية لقرون عديدة اضطر، على مداها، أن يعيش منعزلاً ضمن قبيلته في بيئة إقليمية مصغرة بعيداً عن عموم بني قومه، الأمر الذي جعله يتعصب لبيته الإقليمي المصغر بشكل ملفت، لا في سلوكه وحسب، بل في لهجته اللغوية وفي طراز ملبسه أيضاً. فتحول بموجب كل هذه المؤثرات إلى إنسان صعب الانفتاح والاندماج والصهر، بأية موجة غريبة غازية (الفرس المغول التتار، الترك والعرب) وإلى كائن متمرس بهذه الجبال. ومدافع عن ممراتها باعتبارها بوابات ومنافذ لأخطار محتملة، وإلى متمسك متين بجماعته وبني قومه ولسانه، إلا أن الميزة الأساسية في طباعه تبقى حبه وفخره بأصله (من كوردم- انا كردي). لقد صاغت البيئة الجبلية له طباعه التي أصبحت فيه تمثل طبخة مزيجة من الطيبة والقوة والشجاعة والصدق والأمانة والقدرة على الملاحظة والرصد والارتياب مصبوبة في آن معاً داخل جسد قوى وصلب.

يقول المستر ريج (عام ١٨٢٠): (لم أشاهد مطلقاً اناس ذوي أجساد قوية صحية من الجنسين، النساء والرجال، كما شاهدت ذلك في كوردستان، فرغم سوء الأحوال الجوية، فالكورد بوجه عام قوم أقوياء وأصحاء)[١٣٤]. أما هاملتون فقد لاحظ الأمانة والألفة التي يتطبع بها سلوك الكوردي فقال: (ذلك الخلق العظيم الذي تتوجه الصداقة الخالصة هو أبرز سمة في الشعب الكوردي كما اثبتت لي تجاربي)[١٣٥].

مثلما أوجدت قسوة البيئة الجبلية وتطرفها الجغرافي الكثير من سلوكيات الإنسان الكوردي محولة إياه إلى إنسان حذر وصبور وذو طاقة وتحمل واستعداد للقتال والحرب في أوقات الشدة والاضطرار، فأنه من دون تلك التهديدات والمخاطر التي تحاول إيذاءه، أو القضاء عليه وتدميره، فهو في الأجواء الاعتيادية السلمية إنسان أميل إلى الحياة الطبيعية الهادئة، فهو إنسان، رغم قسوة بيئته، وديع طيب القلب، وفيّ ومؤتمن وصادق مع كل من يتعامل معه كوردياً، كان أم غير ذلك، وحولته طيبته إلى إنسان سريع التصديق لأقوال ووعود الآخرين سواء في تعامله الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي، وكان كثيراً ما يقع فريسة لتلك الحالات، إذ يصعب عليه أمام طيبته، ونيته الصافية، وثقته

---

[١٣٤]- Claudius James Rich, (Narrative residence in Koordistan), Op. Cit., P.٣١٩.

[١٣٥] - أي. أم. هاملتون، (طريق في كردستان)، ترجمة جرجيس فتح الله، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٣، ص٨٠.

العميـاء بطـراوة الألسـن وسـخاء الوعـود، أن يفـرز مـا بـين مـا هـو حقيقـي وواقعـي، ومـا هـو وهـم وخـداع، أي أن طيبتـه حولتـه إلى إنسان سريع التصديق، وكما يقال بالكوردية (خوش باوەر). مع ذلك فهو، ككوردي، يبقى على سلوكه الثابت: إن وَعَدَ صَدَقَ، وإن صادق فهو لا يخون.

ولأن الكـوردي ترعـرع في بيئـة طبوغرافيـة صـعبة ومتطرفـة مناخياً، ومتناقضـة اقتصـادياً، فـان ذلـك ولـد لديـه صـفة التقتير والاقتصـــاد في النفقـــات، أي التخطـــيط الاقتصـــادي الابتـــدائي لمواجهـة حـالات الطـوارئ الـتي قـد يتعـرض لهـا مـن ناحيـة، ومـن ناحيـة أخـرى خلقـت البيئـة الطبيعيـة المتطرفـة، ومـا تشـكله ظروفهـا مـن حـالات متناقضـة، لـدى الإنسـان الكـوردي حـالات متفاوتة من اليسر والعسر، والبهجة والغضب، والسكينة والهياج، والفـرح والحـزن، والكآبـة والانشـراح، وأدى تكـرار وتعاقـب هـذه الحـالات المتناقضـة، علـى مـر الفصـول والسـنين والقـرون إلى أن يتحـول الإنسـان الكـوردي إلى شـخص ذو مـزاج عصـبي انفعـالي في الغالب. لقد كان في حرب أعصاب دائمة مع أزمـات بيئتـه الطبيعيـة ومشكلات وضعه السياسي الذي تركه وحيدا دون حكومـة قوميـة تحميـه، وهـذه الحـرب النفسـية ولـدت لديـه، عـبر القـرون، حالـة العصبية الـتي هـي لحظـة من حـالات التـوتر المفـاجئ الـتي تعـود عليها لمواجهة المصاعب الطارئة من كل نوع والـتي تحولـت، لـدى غالبية الكورد، الى سمة سيكولوجية تظهـر وتلـوح في الأفـق عنـدما

يواجهون أي حدث لا ينسجم أولا يتوافق مع سلوكيتهم، أو عندما يتعرض فيه وجودهم وأمنهم للخطر، أو عندما يستفزون، وفي هذا يقول الكابتن هي: الكوردي إنسان عصبي سريع الهياج، وذو مزاج عنيف، مع ذلك فهو إنسان أخلاقي إلى حد التطهر، وصموت وإن تكلم فبإيجاز، ولكن بوضوح ومباشرة[١٣٦].

فهو يمقت الثرثرة في الكلام وينزعج منها، ولعل من المسائل الملفتة للنظر في هذا الجانب كما يقول ادموندز، هو ميل الكردي إلى استخدام الاختصار حتى في الأسماء الشخصية وبدون أن يشكل ذلك إحراجاً لأحد، وإن كان بعضها يبتعد عن الأصل ابتعاداً كبيراً. ف(حمه) من (محمد)، و(رمه) من (رمضان)، و(عبه) من (عبد الله)، و(خوله) من (محمود)، و(مجه) من مصطفى[١٣٧]، وهكذا. فالكورد كما يؤكد ريج، لا يغلطون أو يتصايحون فيما بينهم عند الكلام، لكنهم معتادون على الصياح المفاجئ والصراخ في حالات محددة، فإذا أراد الكردي أن ينادي آخر، أ ويجذب انتباهه إليه، صاح بأعلى صوته "هو حهمهكه هو- بتطويل النداء هكذا: "حه مه كه هو، هو، ووررا، ووررا" فيجيبه المنادى عليه

---

[١٣٦]- دبليو آر. هي.، (مذكرات دبليو آر. هي)، ترجمة فؤاد جميل، ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨، ص٨٠ و

Colonel W.G. Elphinston, (Kurds and Kurdistan question), Journal of R.C.A.S.), Vol. XXXV, Part I, January, ١٩٤٨, P.٣٩.

[١٣٧]- C.J., Edmonds, Op.Cit, P.٩٩.

و، سي. جي. ادموندز، المصدر السابق، ص٩٥.

بالصيحة نفسها، هكذا ينادي الكورد بعضهم بعضاً من تل إلى آخر[١٣٨]. وهذا آت من حاجته وتطبعه وتذوقه لهدوء الطبيعة التي يعيش فيها، وبخلاف هذا الهدوء فإن مزاجه ينقلب ويثور.

ومن الطبيعي أن تنشأ هناك صلة حميمة بين فكر الإنسان الكوردي وذوقه مع جمال بيئته وجغرافيته، فالكوردي، محب للجمال ويعشق الزهور والألوان البراقة، ويتوق للموسيقى والغناء، ومثل هذا الذوق الرفيع نابع من روعة المناظر الطبيعية وفخامتها في جبال كوردستان، لذلك أشار مينان إلى دور الجبال في كل ذلك، كما ينقله إلينا ادموندر بقوله: (ان هذه الخوانق والمضايق هي من أسمى وأبدع المخلوقات التي خلقت على وجه الأرض، أنها لتفتح في صدر الإنسان ينابيع من الفكر والتأملات، وتسلمه إلى البهجة المطلقة)[١٣٩]. وقد ربط البروفسور سولكي في هذا الجانب بين دفن إنسان نياندرتال، في كهف شانيدر، لموتاه محاطين بباقات من الزهور البرية التي لاتزال أنواعها تنمو في جبال كوردستان وحب الكورد للطبيعة الزاهية والزهور الملونة قائلاً: (من بين هكذا محبين للزهور يبرز الكورد المعاصرون الذين ربما لايزالون يتبعون ببساطة تقليداً في هذه البلاد يعود تاريخه

---

[١٣٨] - Caludius James Rich, Op.Cit, P.١٥٠.

[١٣٩]- C.J., Edmonds, Op.Cit, P.٩٩.

وس.جي. ادموندز، المصدر السابق، ص٩٥.

إلى ما قبل ٦٠٠٠٠ سنة[١٤٠]. هو زمن إنسان نياندرتال الذي عاش في كهوف كوردستان في أواخر العصر الجليدي كما سبق ذكره.

وهذا يعني أن سيكولوجية الكوردي في الغالب تمتاز بحدة الطبع وبفورانها المفاجئ والتي يمكن إثارتها على حين غرة، وهذه السمة السيكولوجية ناجمة عن تلاقح البيئة الجغرافية المتطرفة مع حياته وصراعه المرير مع عناصرها، إضافة إلى ما واجهه من تحديات دائمة من قبل الآخرين عبر التاريخ، مع ذلك فالكوردي لا يرى حرجاً من هذه الصفة بل هو، بأريحيته، يستطيع أن يروي بعض مواقفه العصبية تلك، مثلما هي مدونة في بعض مصادر المستشرقين، نختار منها:

حطت ذبابة يوماً ما على عين أحد رؤساء العشائر فأضجرته، وأثارت غضبه فأستل خنجره وطعن به الذبابة وهي جاثمة فوق عينه فأعماها، وكاد أن يموت[١٤١].

اختلف كورديان حول تحديد مكان ظهور نجمة سهيل (كلاوين) التي يشير ظهورها في سماء كوردستان إلى انتهاء موسم الحر من السنة، وبعد أن اشتد الجدال[١٤٢] انقض أحدهما على الآخر، ولم ينتهي الصراع إلا بوقوع أحدهما صريعاً.

عضت بعوضة أحد الأغوات الكورد من إصبعه، فحك مكان العضة، وبعد دقائق أحس بألم العضة فحك مكانها ثانية، وثالثة،

---

١٤٠ - Ralph S. Solecki, Op.Cit, P.٢٦٩.

١٤١ - Ely Banister, Soane, Op.Cit, P.٣٩٥.

١٤٢ - باسيل نيكتين، المصدر السابق، ص١٤١.

وتكررت الحالة عدة مرات، فما كان منه في النهاية إلا أن أخرج مسدسه، ولعن أبو البعوض، وأطلق النار على إصبعه فبترها من جذرها[١٤٣].

مع ذلك يضل الكوردي يتمتع بروح المرح والدعابة إلى أقصى الحدود في المسائل التي لا تمس أمنه، وشرفه، وهويته، وكرامته، ووطنه ولعل من المفيد أن نسرد هنا مثلاً من هذه الدعابات التي هي على نقيض ما يوصف من عنفوان وصرامة الشخصية الكوردية: (طلب أحد الأغوات ذات يوم من أمام مسجد قريته أن يذكر اسمه في خطبة الجمعة بدلاً من اسم السلطان لقاء مرتب شهري يدفعه له، ووعده بأن يعطيه، إن فعل، ثلاثين معزة حلوب مكافأة له. وفي يوم الجمعة حضر الناس إلى المسجد، وكان بينهم ملا القرية المجاورة، الذي كان يجهل ذلك الاتفاق، وعندما حان ذكر اسم السلطان في الخطبة، قال الإمام بالعربية التي يجهلها الجميع: أيها الأغا (فلان) إنك لدب كبير مأواك جهنم وبئس المصير. وعندما سمع ملا القرية المجاورة ذلك ظن أنه أخطأ فصاح به، لا، لا، إلا أن إمام الجامع حافظ على هدوءه وتابع قوله: اسكت، اسكتان، اسكتون الماعز ثلاثون لك منها عشر ولي عشرون. ففهم الملا وسكت. وطار جنون الأغا فرحاً بورود أسمه

[١٤٣] - Ely Banister Soane, Op. Cit, ٣٩٥.

في الخطبة وطلب من رعاة غنمه أن يختاروا منها أفضل ثلاثين معزة ليعطيها للإمام[144].

الخلاصة والاستنتاج:

من كل ما تقدم يظهر أن الخصائص الجغرافية والطبيعية الجبلية، ومجمل الظروف البيّئية التي عاش فيها الإنسان الكوردي منذ الألف الثالث ق.م وطدت لديه ورسخت فيه العديد من الطباع والخصال السلوكية والحالات السايكولوجية التي تضمنتها شخصيته الجبلية كنتيجة لضغط البيئة من ناحية، ولعزلته فيها ولتكيفه لظروفها من ناحية ثانية، لتجاوز تلك الضغوط البيئية أو لتحملها او التأقلم معها من أجل إدامة حياته فيها. لذا فالبيئة الجبلية حاولت أن تزرع فيه بعض الخصال التي قد تميزه عن غيره من منتمي الشعوب المجاورة لقومه، ولعل أبرز الخصال التي صقلتها البيئة الجبلية الكوردستانية عن الإنسان الكوردي ما يلي:

خلقت عنده سمة الصبر والجلد، وقابليته التحمل لكوارث بيئته الطبيعية، رغم كل ما كان يعانيه جراء ذلك على الصعيد الشخصي والعائلي أو القبائلي أو القومي. وهي خاصية أعانته في التعامل طويل الأمد مع خصومه او أعدائه.

---

[144]- باسيل بنكيتين، المصدر السابق، ص١٥٢.

جعلت منه محارباً رغماً عنه لشعوره الدائم بالغبن وبالعزلة الجغرافية والوحدانية والتهديد المتكرر بسبب الظروف الجغرافية والبيئية المتطرفة إضافة إلى الظلم والحيف التاريخيين. وهي الأخرى مهارة يحتاجها ما دامت الأخطار محدقة به وبوطنه.

صقلت البيئة لديه مزاجه العصبي وحالة النفور المفاجئ من الأوضاع التي تثيره أوتزعجه أولا تتفق مع مزاجه بسبب معاناته المفاجئة والمتكررة من ظروف الطوارئ والأزمات غير المتوقعة التي كان يتعرض لها والتي غالباً ما كانت تؤثر على حالته النفسية المستقرة بشكل آني وعنيف عبر التاريخ. وهي سمة سلبية قد لا تجدي زمن المفاوضات العسيرة.

فرضت عليه بيئته الجبلية وظروف معيشتها ومتطلباتها احترامه الفائق للمرأة التي اعتبرها عنصراً مكملاً ورئيساً في بناء أسرته، وشريكاً لا غنى عنه في إنجاز الأعمال البيتية والعائلية والعشائرية في السلم والحرب على حد سواء، وهذا ما يفسر تمتع المرأة الكردية بالريف بحرية تفوق ما لدى المرأة الحضرية مع احتفاظها بكل سماتها الخلقية الرفيعة. وهي من حسنات بيئته وجيوبوليتيكيتها.

إن حب الإنسان الكوردي لبيئته الجبلية، وقناعته بسخاء هذه البيئة، وبكفايتها الأنتاجية وعطائها له جعلت منه إنسانا قنوعا وكريماً ومنفتحاً وشاكراً لنعمها، في الظروف الاعتيادية، بل إنسانا وديعا ومسالماً على الدوام ما لم يتعرض للأذى والعدوان،

وهو في حالات كثيرة إنسان محب للنكتة بل ومبتكر لها، وهذا ما يتناقض كلياً مع من يحاول أن يلصق به صفات القسوة والعدوان أو يتهمه بما شابه من هذه النعوت.

أصبحت سمة التسامح والصفح عن المعتدين، في حالات القوة والاقتدار واحدة من ابرز الخصال السايكولوجية المميزة للإنسان الكوردي، بل وابرز سمات خلقه السياسي والعسكري.

مع كل ما يواجهه الكوردي من مخاطر طبيعية وبشرية، لاتزال الرومانسية تحتل الكثير من جوانحه، فهي جزء من خلقه الرفيع، فحب الطبيعة، والجمال، والأزهار، والألوان الزاهية البراقة، والشعر والموسيقى وحتى الرقص الشعبي، هي كلها سمات حقيقية مكملة للشخصية الكوردية ضمن أوقاتها المحددة، وهي أمور ارتبطت بحبه لبلاده وانتمائه القومي، ذلك الحب الذي يمكنه دوماً وطوعاً من بذل روحه في سبيلهما، لذا فهو في مثل هذه الحالات يطلق على نفسه مختاراً لقب (بيشمەركه) أي (المواجه للموت)، أي التضحية بالنفس من أجل الوطن.



الفصل الخامس

كوردستان وجيوبولتيكية تطويق الدائرتين

قدر كوردستان الجغرافي ان تكون جنة جبلية وسط صحاري ايران، والأناضول، والعربية. قدر سكانها ان يكونوا حكماً بين شعوب آرية، وطورانية، وسامية. وقدر الاثنين معاً أن تتمتع هذه الجنة بمواردها الطبيعية، وبفروسية ابنائها، مما جعلها هدفاً لأطماع وغزوات قوى الشرق والغرب عبر التاريخ. يقول بونن: (يمكن اعتبار القضية الكوردية قضية وحدتهم القومية التي لم تتحقق، فكوردستان كإقليم جغرافي تضم أقسام كبيرة من تركيا، وإيران، والعراق، وزاوية من سوريا. ومن الحقائق المعروفة ان العديد من سياسات هذه الدول الأربع حيال الكورد كانت قائمة على اساس الخوف من وحدتهم القومية، وبالتالي الخوف من تكوين دولة كوردستان الكبرى. هنا يكمن السبب في ان جميع هذه الدول تعارض تكوين هذه الدولة حتى ولو انشأت في أي قسم من كوردستان الملحقة بأي منهن، فلو انشأت الدولة الكوردية، وتمتع الكورد، فان هذه الدولة ستوصف،عندئذ، بأنها دولة القوس العظيم، الذي تشكل امتدادات جبال زاجروس وانتي طوروس

عموده الفقري، والممتد عبر احد اهم مناطق العالم ستراتيجية وغنى).[١٤٥]

وكوردستان،تعني، لغويا، وطن الكورد، أو بلاد الشعب الكوردي، وهي مصطلح جغرافي وعومي في آن معا، يقول أدموندز: أن كوردستان، إقليم يسكنه الكورد كمجموعة متجانسة، او غير متجانسة، مكونين غالبية سكانها. وهي اليوم مقسمة بين تركيا والعراق وإيران وسوريا، وفي شمال هذه المناطق توجد أجزاء (overlaps) فيما وراء القوقاز (أي في أذربيجان وارمينية).[١٤٦]

أن الحدود الدولية، التي فرضتها القوى الأجنبية التي رسمت حدود الشرق الأوسط، مزقت خارطة كوردستان ووزعتها على تلك الدول، كما هي الحال اليوم، وهذه الحدود تجبر الكورد اليوم على التعامل مع حضارات ودول مختلفة لوقوعهم ضمن حدودها وسيادتها بدلا من ان تدعهم يتجمعون كأمة واحدة في دولة واحدة.[١٤٧]

ومن الجدير ذكره ان اي محاولة بلورة دولة كوردية مستقلة، كانت تلقى معارضة فورية ومستميتة لدى تركيا وإيران والعراق وسوريا، كل على انفراد او جميعها مجتمعة. ولم تأتي هذه

-Richard Sim,(Kurdistan: The search for recognition), Conflict studies),No.١٢٤,November,١٩٨٠,p.١[١٤٥]

[١٤٦]-C.J.Edmonds, (Kurdish Nationalisim), Journal of Contemporary History, Vol.٦, No.١, p. ٨٧.

[١٤٧] -Edgar O, Blance, (The Kurdish Revolution ١٩٦١-١٩٧٠), Faber and Faber, London, ١٩٧٣, p.١٦٧.

المعارضة مصادفة، فقد كانت هذه الدول تدرك ان إقامة أي كيان سياسي كوردي مستقل سيجبرها الى التخلي عن مناطق واسعة من الأراضي الكوردية، خصوصا ان تلك المناطق غنية بالكنوز ث ٣٤٥الطبيعية، وخصوصا النفط [١٤٨]. وحول هذا الموضوع تقول أوشيا: ان أهمية كوردستان لا تكمن في امتدادها الجغرافي، ولا في نطاقها الجيوبولتيكي، بل في ثرواتها الطبيعية[١٤٩]، وفي هذا الصدد يقول بافيج: ان مطامع الدول المختلفة بكوردستان نابع أولا من أهميته موقعها الستراتيجي، كمنطقة دفاعية بالنسبة للأنضول وبلاد ما بين النهرين وإيران، وثانيا بسبب ثرواتها الاقتصادية وفي طليعتها النفط.[١٥٠]

ومع ان الحدود السياسية التي تفصل ما بين كورد هذه الدول، هي حدود دولية، لدول ذات سيادة، حسب القانون الدولي، لكنها، أي الحدود، لا يمكنها ان تفصل بين وحدة العرق، والثقافة،واللغة، والانتماء القومي لهذه الأمة المجزاة، المنتشرة في وطنها عبر تلك الحدود.

---

[١٤٨]- شلومونكييمون، الموساد في العراق ودول الجوار، ترجمة بدر عقيلي، دار القدس، ط٢، بيروت، ١٩٨٩، ص٢٣.

[١٤٩]-Maria T. O,Shia, Between the Map and the reality:some foundmental myth of Kurdish Nationalisim, in, Les Kurdes et les Etats, Peuples Mediterraneens, Juliet[DecembreNo.٦٨[٦٩,١٩٩٤,p.١٦٥

[١٥٠] - بافيج, (كردستان والمسألة الكردية), ترجمة برو, ط١، شباط،١٩٧٨،ص٧.

ان غنـى كوردسـتان بمواردهـا الطبيعيـة لـيس السـبب الوحيـد الـذي يفسـر سـبب تمسـك هـذه الـدول سياسـة اسـتمرار الـدمج القسري لأقاليم كوردستان ببلـدانها، والـتي فرضـت مـن وراء ظهـر الشعب الكـوردي ولـيس برغبتـه، وإنمـا يكمـن كـذلك، كمـا يؤكـد سـنجر، بالعامـل الاثـني القـوي الـذي يتمثـل بالهويـة القوميـة الكوردية. فالكورد عنده يمثلون عمليا المجموعة الاثنيـة الوحيـدة في أسيا الوسطى (الأصح في الشـرق الأوسـط. ف)الـتي بقيـت غير مختلطة بموجات الأمم الغازية كالمغول، والعرب والفرس، والترك، والمقـدونيين الخ...، فكـل هـؤلاء الغـزاة تركـوا بصـماتهم علـى الأهالي في أسيا، الا الكـورد الذين قاوموا في وطـنهم الجبلـي المنيـع كـل تلـك الغـزوات، وحـافظوا علـى هـويتهم مـن تلـك التهديـدات الخطيرة. [١٥١]

لانغوص في عمـق التـاريخ كـثيراً، بـل نبـدأ مـن القـرن السـادس عشر، وبالتحديد بعد معركة جالديران عام ١٥١٤م، عندما واجهت كوردسـتان تحـديات إمبراطـوريتين عـاتيتين عنـد إطرافهـا الشـرقية والغربية، واللتـان مثلتـا معـا (دول الطـوق الـداخلي الأول) واللـتين باشـرتا باحتلالهـا منـذ بدايـة ظهورهمـا علـى المسـرح الجغـرافي للشرق الأوسـط، فحولتـا كوردسـتان، بسـبب إطماعهـا وحروبهمـا، الى مستعمرتين و ساحة للقتال الشرس بينهما قروناً عديـدة. لكـن

١٥١- Andre Singer,(The dervishes in Kurdistan),Asian Affairs,Vol.٦١,No.٢, June,١٩٧٤-

أي من القوتين لم تستطع احتلال كوردستان، او استعمارها، بأكملها، لان طبوغرافية كوردستان ساعدت على تحويلها الى ساحة حرب لتصارع جيوش الدولتين، وكان هذا التقسيم نتيجة لسلسلة من العاهدات الثنائية بين الطرفين، بدأت بعد معركة جالديران (١٥١٤)، اولهما معاهدة أماسيا عام ١٥٥٤، الا ان استمرار الصراع بين الدولتين القاجارية (الشيعية) والعثمانية (السنية) قاد الى توقيع معاهدة أخرى، هي معاهدة زهاو عام ١٦٣٩، والتي أصبحت نصوصها أساسا للمعاهدات اللاحقة، منها معاهدة عام ١٧٤٦ و معاهدة أرضروم الأولى عام ١٨٢٣، ومعاهدة أرضروم الثانية عام ١٨٤٧.[١٥٢] وما تلاها من معاهدات ولحين الحرب العالمية الأولى التي اذنت بأفول الدولة العثمانية. يقول كوجيرا : كانت كوردستان في القرنين السابع عشر والثامن عشر الحصن المقفل بوجه النزاعات التركية– الفارسية. وكانت الحدود بينهما تتمحور من الشرق الى الغرب، ومن الغرب الى الشرق باتجاه كوردستان وفقا لمشيئة المعارك والمعاهدات.[١٥٣] وما ان تم تسوية

---

[١٥٢] - عيد العزيز سليمان نوار،(العلاقات العراقية الفارسية: دراسة دبلوماسية المؤتمرات، مؤتمر أرضروم ١٨٤٣-١٨٤٤)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤،ص ١١-١٢و١٥-١٦و٢٦-٢٧.

[١٥٣]- Chris Kutschera,(Le Moouvement National Kurde),Flammarion,Paris,١٩٧٩,p.٧.

وتخطيط الحدود الفاصلة بين الدولتين فان هذه الحدود هي التي فلقت الكورد (split) بين الدولتين[١٥٤].

كانت تقبع خلف هاتين الدولتين المحتلتين قوتان عالميتان. فإلى الشمال كانت روسيا القيصرية كأكبر قوة برية طامحة الى التوسع جنوباً نحو الهند وكوردستان والبحر الأسود والبلقان، وفي الجنوب كانت تواجهها بريطانيا العظمى، كأكبر قوة بحرية استعمارية طامحة في التوسع شمالاً، من شبه القارة الهندية باتجاه افغانستان واسيا الوسطى، واللتان كانتا تشكلان في حينه قوى الطوق الثاني، حيث كانت هاتان الدولتان العظيمتان في ذلك القرن، تمثلان جيوبولتيكياً قطبي الصراع الدائم فوق البر الأوراسي وبحاره، وكان طبيعياً ان تصبح كوردستان، المحتلة من قبل الدولتين الإيرانية – الصفوية والعثمانية، هدفاً بينيا من أهداف مخططاتهما الستراتيجية الشرق– أوسطية. وبهذا الترتيب خضعت كوردستان لتحديات دائرتين من القوى الضاغطة هي: أنظر شكل (١)

[١٥٤]- جRouhulla K. Ramazani,(The Kurdish Problem),Quarterly Review, Jan. ١٩٦٧,p.٧٢.



شكل رقم (١)

١- قوى الدائرة او الطوق الأول: وتتمثل بقوى الدولتين المحتلتين، المستعمرتين، لكوردستان، الدولة العثمانية والدولة الإيرانية.

٢- قوى الدائرة او الطوق الثاني او الخارجي: وتتمثل بالقوى الدولية الكبرى، روسيا القيصرية وبريطانيا العظمى التي تربطها مع قوى الدائرة الأولى مصالح اقتصادية وإستراتيجية متينة.

ان تطويق كوردستان بدول هذين الطوقين كانت له انعكاسات سلبية وخطيرة على مسار حركة التحرر الوطني الكوردية، لذا كان طبيعياً ان تواجه هذه الحركة (آنذاك) انتكاسات متتالية. وتجلى ذلك بوضوح في إخفاق ثورات الشعب الكوردي ضد قوى الاحتلال، سواء أكان ذلك في ثورة محمد باشا الراوندوزي (١٨٣٥- ١٨٣٧)، أم ثورة البدرخانيين (١٨٤٣- ١٨٤٧)، أم ثورة يزدان شير أيام حرب القوم (١٨٥٣- ١٨٥٦) أم في ثورة الشيخ عبيدالله النهري (١٨٨٠) والثورات اللاحقة. فعلى سبيل المثال، وكما يقول كنان ديرك: انه تحت الضغط البريطاني والروسي، تعاونت كل من تركيا وإيران للقضاء على ثورة الشيخ عبيد الله وشجعتهما على ذلك[١٥٥]. وفي الثورات الكوردية اللاحقة ساهمت دول الطوق الثاني في دعم دول الطوق الأول في قمع حركات التحرر الوطني الكوردية. فقد ساهمت فرنسا في قمع ثورة الشيخ سعيد بيران عام ١٩٢٥، وذلك بالسماح لتركيا بنقل قواتها المسلحة وأسلحتها عبر خط سكك الحديد الممتد شمال سوريا وتطويق الثورة من الجنوب[١٥٦]. كما تم بتعاون بريطانيا الفعال مع كل من

---

[١٥٥]-Kinnan Derk,(The Kurds and Kurdistan),Oxford university press,Londpn,New York,١٩٧٠,p.٢٤

[١٥٦]- Gerard Chaliand, (People without a country), Zed Press, London, ١٩٨٠, p.٦٢.

تركيا وإيران سحق ثورة ارارات بقيادة إحسان نوري باشا عام ١٩٣٠[157].

كانت روسيا، في كل تلك الثورات تقريباً، تمتنع عن الاستجابة لنداءات واستغاثات القادة الكورد، بل كانت تميل الى إثارة الأرمن ضد الكورد داخل كوردستان. في حين كانت بريطانيا، تصطف على الدوام الى جانب الدولة العثمانية، إما نكاية بروسيا، او بحجة الدفاع عن الأقلية المسيحية داخل كوردستان وفي أحيان أخرى كانت المصالح الروسية والبريطانية تلتقي معاً ضغطا على الباب العالي للقضاء المبرم على الثورة الكوردية. فقد اتخذت الدولتان من القضية الارمنية والمسيحية حجة للتدخل في شؤون كوردستان وفي قمع حركاتها التحررية.

إن تحرير واستقلال العديد من الشعوب كان يرتبط، غالباً مع الأزمات الدولية والحروب الكبيرة، التي كثيراً ماكان يتمخض عنها تغيرات راديكالية في الأوضاع السياسية الدولية والإقليمية بما فيها تشكيل دول جديدة[158]، فقد أسفرت الحرب العالمية الأولى عن تغيير جوهري في خارطة الدولة العثمانية، وفي تأسيس دول شرق أوسطية جديدة على أنقاضها، وكان الخاسر الوحيد بعد تلك الحرب والشعب الكوردي ووطنه كوردستان، إذ قسمت كوردستان العثمانية بعد الحرب لتصبح حصصاً لثلاث دول هي:

---

[157] -Chris Kuteschera, op., cit.,,p.١٠٤

[158] - بافيج، المصدر السابق، ص١٠.

تركيا والعراق وسوريا. وبهذا الترتيب أصبحت كوردستان ضمن نطاق الدائرة الأولى مستعمرة ومحاطة بأربع دول هي: ايران وتركيا والعراق وسوريا بدلاً من دولتي فارس والعثمانية، وبذلك لم يغير هذا الحدث العالمي موقف تلك القوى من كوردستان، شكل (٢). وهكذا انشطرت كوردستان الكبرى، بعد إلغاء معاهدة سيفر (١٩٢٠) التي اشارت صراحة الى تشكيل دولة كوردية، الى أربعة أجزاء رئيسة هي:

١- كوردستان الشرقية(ضمن دولة ايران).

٢-كوردستان الشمالية (ضمن دولة تركيا).

٣- كوردستان الجنوبية (ضمن دولة العراق).

٤-كوردستان الغربية (ضمن الدولة السورية).

إن أقسى ما واجهته الحركة القومية الكوردية من مآس وإخفاقات ضمن هذه التركيبة الجديدة تتمثل بسنوات الحرب الباردة التي دامت خمسة وأربعين عاماً (١٩٤٥- ١٩٩٠) بعد ان احتل كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، كقوتين عظيمتين، النفوذ الأكبر ضمن إطار الدائرة الثانية، اللتين تبنتا موقفين معارضين للحركة التحررية الكوردية، انسجاماً مع تطلعات الدول القومية الشوفينية للدائرة الأولى (ايران وتركيا والعراق وسوريا) التي ارتبطت معها بمصالح عديدة ومعقدة، والتي أدت في مجملها الى دفع دول الدائرة الثانية الى الامتناع منذ معاهدة

لـوزان (١٩٢٣) عـن إبـداء أي مسـاندة او تأييـد، لا لاسـتقلال كوردستان، ولاضمان ابسط الحقوق القومية للشعب الكوردي المضطهد ضمن حدود دول الدائرة الأولى التي تقسم كوردستان. ويمكن ملاحظة ذلك التوافق في سياسات دول كلتا الدائرتين في معاهدة لوزان، وميثاق سعد آباد (١٩٣٧)، وحلف بغداد (١٩٥٦)، واتفاقية الجزائر الخيانية عام ١٩٧٥ وغيرها من المعاهدات والاتفاقات الحدودية والأمنية، فضلا عن استخدام سياسة التهجير والترحيل والتقتيل وحروب الإبادة الجماعية، والتي من أبرزها حملات الأنفال عام١٩٨٧ والتي راح ضحيتها ١٨٢٠٠٠ إنسان كوردي، وضرب مدينة حلبجه بالقنابل الكيماوية والتي قتلت ٥٠٠٠ إنسان كوردي في لحظات، وشوهت ٥٠٠٠ آخرين في كوردستان العراق دون وازع من ضمير او تحذير من الأمم المتحدة، او احتجاج من القوى الكبرى، او مجلس الأمن. الكورد لم يتعرضوا للأنفال فقط في العراق، بل مارسته عدة حكومات إيرانية تركية، فعبر القرن العشرين مارست هذه الحكومات سياسات الترحيل والدمج القسري والإبادة وقتلت ما لا يقل عن ١٨٨٣٠٠٠ كوردي مع الأرمن واليونانيين.[١٥٩]

[١٥٩]- Brend O'Leary and John McGarry,(The future of Kurdistan in Iraq), University of Pennsylvania press, Philadelphia , ٢٠٠٥,p ٦.

بسبب تقاسم هذه الدول لخارطة كوردستان، وضمها الى دولها دون استفتاء، او اخذ رأي الشعب الكورد، فقد ابتكرت هذه الدول، مبكرا، خوفا وهميا من الأمة الكوردية لمنعها من توحيد نفسها مجددا، وتكوين دولتها المستقلة، بل كانت تتخوف حتى من احتمال ظهور أي تحسن ايجابي في أي من تلك البلدان فيما يخص الحقوق القومية، او الثقافية، او الإدارية للكورد فيها، وأصبحت هذه السياسة العدوانية هو (الأسمنت) الذي يوحد سياسة هذه الدول ضد الأمة الكوردية. فقد أدى بروز مصطفى كمال و رضا شاه في أوائل العشرينات من القرن الماضي الى تطوير العلاقات التركية الإيرانية ضد الكورد، وقد سعيا الى طي صفحات الماضي من الصراع بين دولتيهما العثمانية والفارسية وقاد ذلك الى تشكيل حلف بغداد. كما ان اضطهاد حكومات تركيا وإيران والعراق وسوريا للكورد فيها ومحاولة مسخ هوياتهم القومية، او إلغائها، جعلتهم ضمن حدود دول (النطاق الأول)، امة بلا أصدقاء (The Kurds have no friends)[١٦٠]، بعد ان سكتت دول (النطاق الثاني) عن سياسات القهر والإذلال والتهجير والصهر العرقي التي مارستها تلك الدول، ضد السكان الكورد فيها، ودعمها لها بحجة سيادة الدولة. كما ان سكوت هيئة الأمم المتحدة، ومنظمات حقوق الإنسان، ساهم في استفحال تلك

---

[١٦٠]- Christopher, Hitchens, (Struggle of the Kurds), National Geography, Vol.١٨٢, No.٢, August, ١٩٩٢, p.٣٩.

السياسة واستمرارها طيلة سنوات الحرب الباردة ١٩٤٥-١٩٩٠بحجة خطر القضية القومية الكوردية، وتهديدها لأمن الشرق الأوسط. لقد أكد الكولونيل الفنستون في وقت مبكر، في عام ١٩٤٨، ان في الاستجابة لمطالب الكورد العادلة من شأنه تحويل الكورد لدعامة الأمن والاستقرار في الشرق الأوسط: (على الرغم من ان هذه الحكومات تشكو من القلق إزاء نشاط الكورد فيها، وقد يتكرر هذا النشاط في حالة الإساءة في التعامل معهم، لكن هناك ميل عام في السياسة العالمية للحد من حدة هذا التخوف من نشاط الأقليات وبخاصة الكورد. في الواقع، بودي الذهاب الى ابعد من ذلك والقول بأنه في ظروف معينة برهن الكورد على كونهم عامل استقرار فعال، اكثر من كونهم خطر على السلام في الشرق الأوسط.)[١٦١]

و تمثل ذلك الدعم في إطلاق سراح يد الحكومات الإقليمية، خلافا لميثاق الأمم المتحدة، وتشجيعها لضرب الحركة القومية الكوردية مجتمعة، فمعاهدة سعد آباد، الموقع في ٨ تموز عام ١٩٣٧ نصت المادة السابعة منه على ما يلي: (يتعهد كل طرف سامي من الأطراف المتعاقدة على حماية حدوده المحترمة ضد أي تشكيل او نشاط، لأية زمر مسلحة او جمعية او منظمة، للإخلال بالأمن، او بنظام اي من الأطراف، إذا ما وقع عند الحدود

---

[١٦١]-Colonel W.G. Elp inston, (Kurds and Kurdistan), J.R.C.A.S. . .Vol. xxxv, part ١,January, ١٩٤٨,p.٤٠.

او اي مكان اخر لدولة اخرى، او لتغيير النظام فيها).[١٦٢]، وحلف بغداد عام ١٩٥٥، او، كما وجدت الدول الثلاث (ايران وتركيا وسوريا)، بعد تحرر العراق من الدكتاتورية عام ٢٠٠٣، حاجتها مجددا الى تمتين علاقاتها لمواجهة الحركة القومية الكوردية في التسعينات من القرن الماضي، وذلك من خلال عقد اجتماعات دورية كما حصل في اجتماعاتهم الدورية في كانون الأول من عام ١٩٩٢ وشباط ١٩٩٣، وحزيران ١٩٩٣، واخيرا في ١٩٩٤ حيث بلوروا سياسة موحدة ضد الكورد في العراق بوجه خاص، لإجهاض فدرالية كوردستان بشكل خاص، ولضرب الحركة القومية الكوردية في الشرق الأوسط بشكل عام. وكل هذا لم يكن ممكنا لو وجدت هذه الدول معارضة ما من الأمم المتحدة او الاتحاد الأوربي او روسيا، فالسياسة العامة للدول الكبرى كانت تتعارض وسياسة دعم القوميات او الأثنيات او القوميات، بل كانت مكرسة لدعم الانظمة الحاكمة وحماية مصالحها، فالعلاقات القوية التي ربطت الولايات المتحدة بحكومة صدام حسين في أعوام ١٩٨٨-١٩٩٠ هي التي تفسر لنا، كما يؤكد اولسن، لماذا أغمضت الولايات المتحدة عيناها عن عمليات الأنفال التي نفذها

١٦٢- Co., New York, ١٩٥٨.p.٢١٥. J.C.Hurewitz(,Diplomacy in the Near and Middle East),Vol.٢,D.Van Nostra.

صدام ضد الكورد.[١٦٣] وكذلك عن ضرب مدينة حلبجة بالأسلحة الكيمياوي.



[١٦٣] -Robert Olson,(The Kurdish Question and the Kurdish problem: some Geopolitics comparisons),Les Kurdes et les Etats, Peuples Mediterranees,no.٦٨-٦٩, gullet-decsmbre,١٩٩٤,p.٢١٨.

كانت الولايات المتحدة في سنوات الحرب الباردة ترى ان كوردستان المستقلة واية حركة تحررية كوردية بهذا الاتجاه، في اي جزء من اجزاء كوردستان، ماهي الا حركة تصب في صالح الاتحاد السوفيتي، وما هي الا محاولات سوفيتية لتمزيق حلف بغداد، وتدمير الحزام الأمني الشمالي للشرق الأوسط[١٦٤]. أما الاتحاد السوفيتي، آنذاك فكان يقف من حركة التحرر الوطني الكوردية موقفاً اشد غرابة من الموقف الأمريكي. فقد حرم الاتحاد السوفيتي سكانه الكورد بالكامل من فرصة الاتصال ببني قومهم في كوردستان، فكرياً وسياسياً وحضارياً، وأرغمهم على الاندماج بالمجتمع السوفيتي بعد ان تشدد في إغلاق حدوده مع المناطق الكوردية المجاورة[١٦٥]، وفضلا عن ذلك، كانت السياسة السوفيتية ترى عدم وجود جدوى من تأييد دولة كوردية ما لم تقع تحت النفوذ السوفيتي وبخلاف ذلك فان وجود دولة كوردية سيكون في صالح الغرب[١٦٦]، ولعل هذا التفكير الخاطئ هو الذي أوقع السوفيت في محاربة او الوقوف سلبا من الحركة القومية الكوردية في معظم سنوات تاريخها.

---

١٦٤ - D.C.Watt (,Survey of international Affairs ١٩٦١),Oxford University press,London,١٩٦٥,p.٥٤٥.

١٦٥- William McCagg,, Jr and O.Silve Brian,(Soviet Asian Ethnic Frontiers),Pergamon press,New York١٩٦٠,p.٩٣.

١٦٦ - Hassan Arfa,(The Kurds: an historical, political study,),Oxford University Press,London,١٩٦٦,p.٧١-٧٢.

أما على الصعيد الإقليمي فقد كان السوفيت ينظرون الى الحركة القومية الكوردية وكأنها من فعل البريطانيين أو الأمريكان. لذا وقفوا منها موقف المريب الشكاك، ولجئوا في اغلب الحالات الى مساندة حكومات الطوق الأول الأشد اضطهاداً للكورد مثل العراق وتركيا وسوريا، وبذلك تكون دول الطوق الثاني قد عطلت هي الأخرى أي جهد دولي كان يهدف الى وقف المجازر المرتكبة الأمة الكوردية وحولت سنوات الحرب الباردة الى سنوات لخنق هذه الأمة. كان الوضع الدولي والإقليمي حيال كوردستان يحتاج الى تغيير عالمي كي تغير الرؤى والمواقف إزاء المظلومية التاريخية للأمة الكوردية، ولم يأت هذا التغير الا بعد ان أفل نجم الاتحاد السوفيتي في نهاية الحرب الباردة، وبروز الولايات المتحدة على المسرح العالمي كقوة عظمى متفردة لتقود لوحدها النظام الدولي الجديد، وهو التصدع الكبير الذي واجهه ترتيب قوى الدائرة الثانية المكبل للحركة القومية الكوردية. عندما وجدت الولايات المتحدة نفسها بدون معارض إيديولوجي سياساتها إزاء الدول الإقليمية ذات الحكومات الاستبدادية، ووضع حد لتجاوزاتها وانتهاكاتها لحقوق الإنسان، واستخفافها بالقوانين والأنظمة الدولية، ومغامراتها العدوانية والتسليحية. ومن الطبيعي ان يكون العراق الدولة النموذجي في ذلك، هذا الموقف احدث انقلاباً في موازين قوى الدائرتين المحيطتين بكوردستان، واربك كل الخطط الإقليمية لتكبيل الحركة القومية

الكوردية، وساعد أيضا على تجلي مواقف الاتحاد الأوربي وبرلمانه، ومواقف العديد من الأحزاب والشخصيات العالمية والتي مالت جميعها لمناصرة القضية القومية الكوردية على مختلف الأصعدة، فضلاً عن تغير مواقف الهيئات الدولية لصالحها كذلك.

حيال هذا التغير العالمي لم يكن السكوت عن جرائم الحكومات الإقليمية في الدائرة الأولى، وخاصة في العراق، والمواجهة ضد الكورد ممكناً. لقد اصدر مجلس الأمن الدولي في الخامس من نيسان ١٩٩١ قراره المرقم ٦٨٨ الذي تضمن، ولأول مرة في التاريخ، طلب هيئة الأمم المتحدة من الحكومة العراقية وضع حد لقمع الشعب الكوردي في هذا البلد وتسهيل منحه المعونات الإنسانية، ومن فقراته:

١- يدين (مجلس الأمن) القمع الذي يتعرض له السكان المدنيون العراقيون في اجزاء كثيرة من العراق والذي شمل مؤخرا المناطق السكانية الكردية وتهدد نتائجه السلم والأمن الدوليين في المنطقة.

٢- يطالب (مجلس الأمن) بان يقوم العراق على الفور، كإسهام منه في إزالة الخطر الذي يتهدد السلم والأمن الدوليين في المنطقة، بوقف هذا القمع، ويعرب عن الأمل، في السياق نفسه، في

إقامة حوار مفتوح لكفالة احترام حقوق الإنسان والحقوق السياسية لجميع المواطنين العراقيين.[١٦٧]



شكل رقم (٢)

[١٦٧]-- قرارات مجلس الأمن الخاصة بالأزمة العراقية، السياسة الدولية، العدد ١٣٢، نيسان، ١٩٩٨، ص٢٩-٣٠، وللتفاصيل تراجع: الأمم المتحدة، قرارات ومقررات مجلس الأمن ١٩٩١، (الوثائق الرسمية: السنة السادسة والأربعون، نيويورك، ١٩٩٣).

وتبع ذلك في ٧ نيسان ان قررت قوات التحالف بدء عمليات إنشاء الملاذ الآمن (Provide Comfort) لصالح شعب كوردستان العراق وتحديد منطقة الحظر الجوي في كوردستان بخط عرض ٣٦ درجة شمالاً لوضع حد للقصف الجوي العشوائي الذي كان يمارسه الجيش العراقي وطيرانه ضد قرى ومدن كوردستان.

ان انهيار سياسات دول الطوق الثاني جعل سياسات دول الطوق الأول، التي احتوت أقاليم كردستان، عاجزة عن إلحاق الأذى والدمار الشامل بالحركة القومية الكوردية والبنى التحتية للأمة الكوردية كما كانت تفعل سابقاً، وفي المقابل بدات حركة التحرر الوطني الكوردستانية تخطو خطوات سريعة في مجال ضمان حقوق الإنسان الكوردي وحقه السياسي المغتصب. لقد أسفر الوضع الجديد في كوردستان عن بروز نظام سياسي ديمقراطي تعددي في إقليم كوردستان عبر انتخابات ديمقراطية في أيار ١٩٩٢، حكم إقليم كوردستان وفق أسس حضارية، بعد ان اضطرت حكومة بغداد عام ١٩٩١ الى سحب إدارتها من اغلب مناطق كوردستان العراق، (انتقاماً من الحركة الكوردية اعتقاداً منها ان الحركة لا تستطيع إدارة المنطقة). كما ان سقوط وانهيار النظام الدكتاتوري في العراق في ١١ آذار عام ٢٠٠٣, وتشكيل نظام سياسي جديد قائم على اساس الديمقراطية والتعددية والنظام الفدرالي، إذ اقر الدستور العراقي الجديد، لأول مرة في تاريخ الدولة العراقية بأن جمهورية العراق دولة اتحادية مستقلة، وان العراق بلد متعدد القوميات والأديان والأعراق، وان اللغة

العربيــة واللغــة الكورديــة همــا اللغتــان الرسميتــان للعــراق، وان النظـام الاتحـادي في جمهوريـة العـراق يتكـون مـن عاصـمة وإقلـيم ومحافظات لا مركزيـة وإدارات محلية، كمـا اقـر الدسـتور ان إقلـيم كوردسـتان وسـلطاته القائمـة إقليمـا اتحاديـا[١٦٨]. وقـد عـزز هـذا الحدث الجيوبولتيكي من مواقف الحركة القومية الكوردية ليس في كوردسـتان الجنوبيـة فقـط، بـل وفي أجـزاء كوردسـتان الأخـرى، وخاصة في كوردستان الشرقية (ايران) بعد الثورة الإسلامية فيها عام ١٩٧٩. وكوردستان الشمالية (تركيـة) يعـد ثـورة عـام ١٩٨٤، وكوردستان الغربية (سورية) بعد امتـداد ثـورات الربيـع العربـي الى سوريا.

هذه التغيرات الجيوبولتيكية الكبرى، أجبرت دول الطـوق الـذي يسـتعمر كوردسـتان علـى تغـيير نمـط سياسـاتها العدوانيـة مـع الحركة القومية الكوردية والرضوخ لمطالب الشعب الكوردي، بعـد ان تغيرت سياسات دول الطوق الثاني المؤازر لها، كما هو حاصل في تركيا اليوم، وكما سيحصل في سوريا قريبا.

ومع ان هـذه الحكومـة الإقليميـة الكورديـة واجهـت العديـد مـن المـؤامرات الخارجيـة والداخليـة، الا أنهـا وبفضـل صـمود شـعب كوردستان وقيادتـه السياسـية والـدعم والإسـناد الـدولتين تمكنـت مـن ان تواجـه كل المخـاطر والتحـديات بـروح ملـئ بالثقـة والأمـل

---

[١٦٨] - جمهوريــة العــراق، مجلــس الــوزراء، (دســتور جمهوريــة العــراق)، الطبعــة الثانيــة، نيســان، ٢٠٠٦، المــواد، ٤، ٣، ١، ١١٧، ١١٦ الصــفحات ١١، ٥٧.

ببزوغ فجر جديد لهذه الأمة أسفر النضال الدائم للشعب العراقي ضد سلطة الاستبداد الصدامية والدعم المقدم له من دول الحلفاء الى تحطيم تلك السلطة وتحرير الشعب العراقي بعربه وكورده وباقي قومياته من كابوسها الدموي الرهيب في نيسان الماضي، وأسفر هذا التحرير عن تلاحم قوى الشعب وأحزابه الوطنية والدينية في مجلس حكم ائتلافي يعتمد الفدرالية أساسا لنظام حكم ديمقراطي تعددي يضمن لأول مرة حقوق الشعب الكوردي في العراق ضمن إقليم جغرافي حق التمتع بحكم إقليمه بنفسه ضمن دولة العراق الفدرالية.

أن ذلك لم يكن ليحدث ان لم يحدث التغير في السياسة الدولية وانقلابها لصالح الأمة الكوردية وبقية الشعوب والأقليات المحرومة في العالم. ان هذا التغيير احدث شرخاً مميتاً في سياسات ومواقف دول الدائرة الأولى وجعلها عاجزة تماماً عن ممارسة سياسات الإبادة والتهجير والتدمير الشامل لقرى ومدن كوردستان وللشخصية الكوردية. لقد ولى ذلك الزمن، وفلتت كوردستان من محنة تطويق قوى الدائرتين، فبعد كوردستان العراق ربما سيأتي دور كوردستان سوريا وتركيا ثم ايران. نأمل ان يكون القرن الحالي (القرن الحادي والعشرين) قرنا لحل القضية القومية الكوردية، ووضع حد لمغدوريتها السياسية والدولية، ورفع الغبن ألتأريخي عنها، رغم العراقيل التي تضعها السياسات الشوفينية للدول الإقليمية.



الفصل السادس

جيوبولتيك تقسيم كوردستان

المقدمة:

توصف كوردستان بأنها (بولندة الشرق الأوسط) [١٦٩] بالنظر للتشابه بين تقسيم كوردستان الحالي، مع ما كانت عليه بولندة، قبل ان تأخذ شكلها السياسي الحالي [١٧٠]. فكوردستان اليوم مقسمة وملحقة أجزاؤها بكل من تركيا وإيران والعراق وسوريا وأذربيجان وارمينيا [١٧١]. وهذا الواقع الممزق لخارطة كوردستان جعل من القضية الكوردية اليوم أحدى قضايا الشرق الأوسط الجيوبولتيكية المعقدة، نظراً لارتباطها بالسياسات الداخلية و

---

[١٦٩]- Aaran , Latham , What Kissinger was afraid of in pike paper , New York , October ,١٩٧٦.P٥٠-

[١٧٠]- Mr. Johnston , and P.J. Taylor , Aworld in Crisis : Geographical perspec tives, Besil Blackwell ,١٩٨١ , pp.٢٤١-٢٤٤ -

[١٧١]- George S. Harris, Ethnic Conflict and the Kurds, Annals of the American Academy of political and Social Science, vol. ٤٣٣,Sep,١٩٧٧,p.١١٣. -

الإستراتيجيات الإقليمية والدولية لتلك الدول من جهة، ولعلاقتها غير المباشرة بالمصالح الدولية ومراكز القوى من جهة ثانية.

كوردستان هي الوطن التاريخي للأمة الكوردية التي يتوقع ان يصل عدد سكانها في عام ٢٠٢٠ الى حوالي (٥٣) مليون نسمة [١٧٢] . والأمة الكوردية، بخصائصها القومية المستقلة، تشكل مجموعة اثنية مميزة بين شعوب وأمم الشرق الأوسط [١٧٣]، وهي رابع قومية كبيرة فيه، بعد العرب والترك والفرس. [١٧٤] من دون ان يكون لها كيان سياسي مستقل حتى اليوم ! . لذا، فإن هذا البحث يهدف الى تحديد المراحل التي مر بها تقسيم كوردستان لغرض تنبيه القارئ الكوردي لمخاطر هذا التقسيم على مستقبل الأمة الكوردية ودور القوى الأجنبية التي فرضت هذا الواقع الأليم على هذه الأمة العريقة المظلومة.

---

[١٧٢] - د. كرمياني، (ديموغرافية سكان كوردستان حتى عام ٢٠٥٠)، كولان العربي، العدد ١٥،١٩٩٧، ص٤٥ – (د.كرمياني: هو الاسم المستعار للدكتور فؤاد حمه خورشيد للنشر في أدبيات كوردستان أيام حكم العفالقة، كما نشر مقالات أخرى بأسم د. ناريان. راجع كذلك كتاب: فؤاد حمه خورشيد، أصل الكورد واللغة الكردية، دار سه ردةم، السليمانية، ٢٠١١،ص٦٦.

[١٧٣] - William E. Hazen , (Minorities in revolt : the Kurds of Iran , Iraq ,Syria and Turkey) , in : the political Role of Minority Groups in the Middle East ed : R.O. Mchourin , ١٩٧٧,p.٤٩.

[١٧٤]- Graham E. Fuller, (the fate of the Kurds) .Foreign Affairs, spring, ١٩٩٣, P.١٠٨.

جيوبولتيكيّة كوردستان

سبق وان ذكرنا بان اغلب المصادر الموثوقة تقدر مساحة كوردستان الكبرى بـ(٥٠٠٠٠٠) كم مربعا وهو الأدق، انظر الفصل الثاني، الا ان الدكتور صلاح سالم زرقونة يذكر، مع تحفظه على الأرقام، ان مساحة كوردستان تقدر ما بين ٤٣٠-٥٣٠ الف كيلومتراً مربعاً، موزعة بالشكل الآتي:

٥٠ ٪ من أراضيها تقع في تركيا، ٢٥ ٪ في ايران و١٧ ٪ في العراق و١٣ ٪ في سورية .[١٧٥] لكننا سبق وان استخرجنا النسب المساحية لأقاليم كوردستان المختلفة استنادا الى خارطة كوردستان الكبرى، وكانت نسبها الأكثر واقعية كما يلي:

كوردستان الشمالية (في تركيا) ٤٢ ٪

كوردستان الغربية (في ايران) ٣٨ ٪

كوردستان الجنوبية (في العراق) ١٦ ٪

كوردستان الغربية (في سوريا) ٥ر٢ ٪

---

[١٧٥]- صلاح سالم زرقونة، (القومية الكوردية، المنشأ والعلاقة مع القوميات المجاورة)، السياسة الدولية، العدد ١٣٥، يناير،١٩٩٩، ص ٨٨ ووليد عبد الناصر، (أكراد العراق وتأثير البيئتين الإقليمية والدولية)، السياسة الدولية،العدد ١٢٧، ١٩٩٦، ص ٤٨ . وأبو عامود، محمد سعيد، الدولة الكوردية بين الفكر والحلم وواقع السياسة الدولية، العدد ١٣٥، يناير ١٩٩٩، ص٨٧ .

كوردستان أرمينيا وأذربيجان (السوفيتية سابقا) ٥ر١ ٪ [١٧٦]

وكوردستان إقليم جبلي يتمتع بأهمية ستراتيجية واقتصادية كبيرة في آن معاً. وهي تمثل، جغرافيا، قلب الشرق الأوسط الذي يفصل جيوبولتيكيا بين أقاليم فارس والعراق والأناضول، أي، بين الفرس والترك. كما إنها تشكل جسراً إستراتيجيا يربط بين اوروبا والمحيط الهندي، باعتبارها امتداد للإقليم الجيوبولتيكي الممتد شرق البحر المتوسط، وتبعاً لذلك فأنها تتمتع بأهمية جيوستراتيجية كذلك.

ونقصد هنا بالموقع الجيوستراتيجي، ذلك الموقع الذي يمنح أي إقليم او دولة ميزة أساسية حاسمة من النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية تجله (تقدره) الدول المنافسة او المعادية، ومدى مساهمته في تعزيز قوة الدولة، مع ملاحظة ان هذه الأهمية ودورها يتوقف على الزمن والظرف والمستوى التقني للدولة وطبيعة الأقاليم الجيوبولتيكية المحيطة بها.

وتمتاز كوردستان، فضلاً عن ذلك بطبيعتها الجبلية الهيمنة على الأقاليم السهلية والهضابية المتاخمة لها، فهذه الخاصية – الدفاعية والهجومية – التي تتمتع بها جغرافية أراضيها جعلتها، عبر التأريخ، هدفاً لكل غاز او محتل لمنطقة الشرق الأوسط لأن التحكم بجبال كوردستان كان يعني على الدوام، الإمساك بمفاتيح

---

[١٧٦] - فؤاد حمه خورشيد، (الأكراد دراسة علمية موجزة) مطبعة دار الساعة، بغداد، ١٩٧١، ص١٠.

النصـر العسـكري علـى الأقـاليم الـتي تليهـا شـرقاً او غربـاً . فلـم يكتـب النصـر للاسـكندر المكـدوني شـرقاً، وللعـرب المسـلمين شرقاً، وللمغول والتتار غرباً، الا بعد ان سيطروا على كوردستان وامسـكوا بتلـك المفـاتيح [١٧٧]، ان هـذا الموضـوع يمكـن درجـه تاريخيـا ضـمن معادلـة جيوبولتيكيـة كلاسـيكية بسـيطة، ولكـن خطيرة وكما يلي:

- من يتحكم بجبال كوردستان يمتلك مفاتيح النصر.
- من يمتلك هذه المفاتيح يمكنه السيطرة على الأقاليم المجاورة.

ان فرضيات هذه النظرية لا تهدف الى فرض سياسة السيطرة والعدوان على الأقاليم المجاورة كما يبدو من سياقاتها، بل هي تعني ان المقومات الجغرافية لكوردستان أعطت وتعطي للأمة الكوردية القوة والقدرة على حماية نفسها وكيانها، إن تمتعت كالأمم الأخرى بدولة مستقلة خاصة بها. بمعنى آخر: لو ان كوردستان توحدت وأصبحت دولة مستقلة، وامتلك الشعب الكوردي مفاتيح نصره بيده فإن كوردستان ستتحول آنذاك الى قوة إقليمية تجنبه في الأقل مخاطر وعدوان الدول المجاورة نظراً للأهمية الجيوستراتيجية التي تتمتع بها كوردستان الكبرى

---

[١٧٧] - فؤاد حمه خورشيد، (جيوبوليتكياي جياكاني كوردستان)، روشنبيري نويَ، ١٠٦، ١٩٨٥، ص ٣١٥-٣٢٢.

الموحدة . يقول ريتشارد سن بهذا الخصوص: لو ان الكورد تمتعوا باستقلال دولتهم، لكان علينا ان نوصف هذه الدولة، بأنها دولة القوس الممتد عبر واحد من اكثر مناطق العالم ستراتيجية وغنى بالثروة المعدنية.[١٧٨]

يركز الجيوبوليتكس على اهمية الاكيومين (Ecumenes) عند دراسة تركيب قوة الدولة، باعتباره القلب الحيوي الذي يضم القوة اللازمة من النواحي الاقتصادية والحضارية والعسكرية، وفيما اذا كان هذا الاكيومية يقع وسط البلاد او في احد اطرافها، وعموما يعرف كوهن الاكيومين بانه المنطقة الاكثف سكانا والأكثر نشاطا من الناحية الاقتصادية والأكثف في شبكة طرق المواصلات والاتصالات، وبالتالي الأكثر أهمية من الناحية السياسية والادارية ايضا[١٧٩] .ومع ان كوردستان لا تزال تفتقر الى مثل هذا الاكيومين الواضح بسبب نمط التبعثر في توزيعاتها الجغرافية المتنوعة، وصغر حجم مدنها، وبطء نموها، الا ان في إقليم كوردستان الجنوبية اليوم بوادر تكون مثل هذه الظاهرة الجغرافية لاكيومين، الأول في النصف الشرقي من سهل اربيل المحيط بعاصمة الإقليم(اكيومين هەولير)، والثاني في النصف الشمالي من سهل شهرزور المحيط بمدينة السليمانية (اكيومين

---

١٧٨ -Richard Sim, (Kurdistan: The search of recognition), Conflict studies, NO, ١٢٤, November, ١٩٨٠, p. ١.

١٧٩ Saul Bernard Cohen , op.cit.,p.٣٥.-

شهزور)، وربما سيظهر اكيومين ثالث بعد ان تزحف كلار على خانقين، او بالعكس(اكيومين كەرميان) .

لقد حافظت كوردستان على نفس الأهمية الجيوستراتيجية أثناء الحرب العالمية الأولى أيضا، فقد أشار لازاريف صراحة الى ان كوردستان أصبحت آنذاك احدى المواضع الرئيسة للدعاية الإمبريالية، وان العمليات العسكرية في جبهات الشرق الأوسط إثناء تلك الحرب بينت بجلاء تمتع كوردستان بأهمية عسكرية – ستراتيجية من الطراز الأول، كما أن اكتشاف حقوق النفط فيها، كمصدر ستراتيجي للطاقة، والصراع الدائر فوق الأراضي الكوردية أصبح من اهم العوامل التي اثرت في سياسات الدول الكبرى آنذاك [١٨٠] . وكانت بريطانيا وروسيا وفرنسا والمانيا تسعى جميعاً لسنوات طويلة لتعزيز ومواقعها وتثبيت أقدامها في كوردستان بغية الاستحواذ على ثرواتها أو ربطها بأسواقها[١٨١] . وقاد ذلك الصراع والتنافس بين تلك القوى الى تقسيم كوردستان.

ويحدث التقسيم بفعل المحلتين. عندما تتفاعل قوتان كبيرتان، او اكثر، بهدف القيام بضم أو احتلال كوردستان لجني فوائدها

---

[١٨٠]- م.س لازاريف المسألة الكوردية ١٩١٧-١٩٢٣، ترجمة عبدي حاجي، دار الرازي، لندن قبرص، ١٩٩١، ص ٣٦ .

[١٨١]- كمال مظهر احمد، (كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى)، مطبعة أفاق عربية، بغداد، ١٩٨٤ / ص ٢١ .

الستراتيجية المذكورة آنفا. ولكن عندما يعجز كل طرف عن تحقيق أهدافه ونواياه كاملة، كما في الصراع الصفوي – العثماني، فإنه يتمسك بذلك الجزء من كوردستان الذي احتله او سيطر عليه خلال المعارك، مادام هذا الجزء يمنحه قسماً من خصائص الثبات الموقعي – الجغرافي تجاه خصمه، هكذا حدث تقسيم كوردستان أبان تلك الفترة التاريخية .أما التقسيم المعاصر لكوردستان فقد أسهمت به قوى أخرى جاءت الى المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى، وهو ما سنأتي الى ذكره لاحقاً.

تقسيم كوردستان:

مر تقسيم كوردستان، بسبب طبيعة وتغير القوى الاستثمارية عبر الزمن بعدة مراحل، وأدى ذلك بطبيعة الحال الى تقسيم كوردستان وتمزيق خارطتها مرات عديدة أما ابرز مراحل التقسيم فهي كما يلي:–

١– **التقسيم الأول:** وهو التقسيم الذي تم على يد الفرس (الصفويين) والأتراك (العثمانيين) كنتيجة للصراع الدامي بينهما من اجل السيطرة على كوردستان، والذي دام طيلة الفترة الممتدة من القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر، وبخاصة بعد معركة جالديران عام ١٥١٤[١٨٢] . ويمكن اعتبار

[١٨٢]- سهل جالديران: يقع جنوب غرب مدينة ماكو الكوردية، شمال غرب ايران الحالية.

معاهدة أماسيا عام ١٥٥٤ بين الدولتين أولى المعاهدات الدولية التي قسمت كوردستان واخضعتها لاحتلال الدولتين. كما تعتبر معاهدة زهاو عام ١٦٣٩، والتي كان لها شأن خطير في تحديد العلاقة بين الدولتين، أساسا للمعاهدات اللاحقة ذات العلاقة بتقسيم كوردستان ومد خط الحدود السياسية الفاصلة بين الدولتين علة طول امتداد جبال كوردستان[١٨٣]، وكانت النتيجة هي تقسيم كوردستان الى إقليمين رئيسيين شرقي (كوردستان الشرقية) خاضع لإيران، وغربي (كوردستان الغربية) خاضع للدولة العثمانية.

ان هذه الحدود، كما يقول البروفيسور رمضاني: فلقت الكورد بين الإمبراطوريتين[١٨٤]. انظر الخريطة رقم (١). ويلاحظ ان معظم التقسيمات اللاحقة لكوردستان حدثت في كوردستان الغربية (العثمانية) فقط، في حين ظلت كوردستان الشرقية (الإيرانية) خاضعة لإيران دون ان يمسها التغيير.

---

[١٨٣]- للتفاصيل عن تطور معاهدات الحدود هذه راجع:
عبدالعزيز سليمان نوار، العلاقات العراقية – الإيرانية: دراسة في دبلوماسية المؤتمرات، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤.

١٨١-R.K.Ramazani ,(The Kurdish Problem),Quarterly Review, Jan. ١٩٦٧.(London).

٢- التقسيم الثاني: هو التقسيم الذي حدث بسبب تقدم الروس في القرن التاسع عشر باتجاه ماوراء القوقاز وبحر قزوين والذي أسفر عن توقيع معاهدة (تركمان جاي - Turkumanchai) عام ١٨٢٨ بين روسيا وبلاد فارس، والتي تنازل الفرس بموجبها لروسيا عن مقاطعاتها الممتدة الى الشمال من نهر اراس. وهذا الترتيب للحدود فصل الكورد القاطنين في مقاطعة كنجه (GANJA) عن بقية أجزاء كوردستان الشرقية [١٨٥] وبذلك أصبح جزء من كوردستان خاضعاً لروسيا، ثم للإتحاد السوفيتي، والآن لأرمينيا و أذربيجان.

٣- التقسيم الثالث: وهو التقسيم الذي جاءت به معاهدة سايكس - بيكو السرية عام ١٩١٦ (الخارطة رقم (١) والتي تضمنت اتفاق كل من بريطانيا وروسيا وفرنسا على تقسيم اراضي الدولة العثمانية (الرجل المريض) بضمنها أراضي كوردستان العثمانية الى مناطق خاضعة لنفوذ تلك الدول، وقد خضعت كوردستان العثمانية بموجب هذه المعاهدة الى التقسيم التالي:

---

١٨٥ - Eden Naby , (The Iranian Frontier Nationalities The Kurds , The Assyrians , the Baluchies and the Turk men) , in : McCagg , William O.Jr.and silver , Brian . D: Soviet Asian Ethnic Frontiers, New York, ١٩. p.٨٥.

أ- جعل مقاطعات بايزيد، وان بدليس، موش، الازج (خربوط)، ارزنجان، جلمرك، حكارى وبوتان ضمن حصة روسيا.

ب - وقوع منطقة بهدينان وجزيرة، ملاطية، ماردين، قامشلي، رأس العين، ديار بكر، أورفه، وغزيان تبة، ضمن منطقة النفوذ الفرنسي. ويلاحظ هنا ان منطقة النفوذ الفرنسي الممتدة حتى بهدينان (شمال الزاب الأعلى) كانت مخططة لتكون منطقة فرنسية عازلة بين منطقة النفوذ البريطاني المذكور ومنطقة النفوذ الروسي أعلاه[١٨٦]، بسبب العداء التقليدي بين الدولتين[١٨٧].

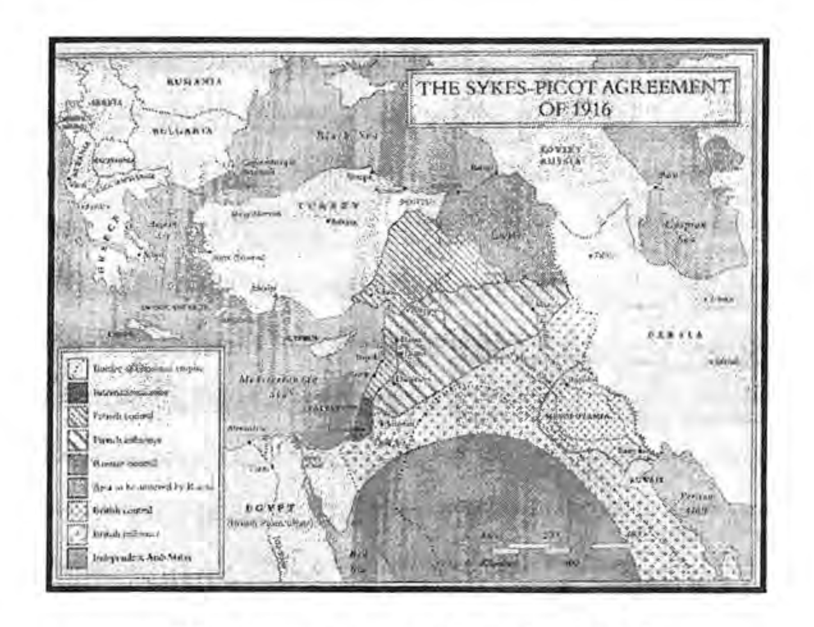
ب - وقوع بهدينان وجزيرة، ملاطية، ماردين، قامشلي، رأس العين، ديار بكر، أورفه، وغزيان تبة، ضمن منطقة النفوذ الفرنسي. ويلاحظ هنا ان منطقة النفوذ الفرنسي الممتدة حتى بهدينان (شمال الزاب الأعلى) كانت مخططة لتكون منطقة عازلة بين النفوذ البريطاني جنوب النهر المذكور ومنطقة النفوذ الروسي أعلاه[١٨٨]، بسب العداء التقليدي بين الدولتين.

---

[١٨٦]- Sir Arnold T. Wilson, (Loyalties Mesopotamia ١٩١٧-١٩٢٠), Vol. ٢, Oxford University press, London, ١٩٣١ .P.١٥٣.

[١٨٧]- Sir Arnold T. Wilson, (Loyalties Mesopotamia ١٩١٧-١٩٢٠), Vol. ٢, Oxford University press, London, ١٩٣١ .P.١٥٣.

[١٨٨]- Sir Arnold T. Wilson, (Loyalties Mesopotamia ١٩١٧-١٩٢٠), Vol. ٢, Oxford University press, London, ١٩٣١ .P.١٥٣.



خارطة (١) معاهدة سايكس- بيكو السرية عام ١٩١٦

أن انسحاب روسيا من الحرب الأولى بعد الثورة البلشفية التي حدثت فيها عام ١٩١٧، أتاح الفرصة لايطاليا لأن تشارك كل من بريطانيا وفرنسا في ذلك التقسيم. ففي ذلك العام واتفق رؤساء وزراء البلدان الثلاثة على منح ايطاليا مناطق أزمير، انطاليا وقونية وجميع مناطق غرب الأناضول، وهي جميعاً خارج كوردستان الشمالية (التركية) الحالية.

ج- وقوع المنطقة الممتدة من نهر الزاب الأعلى (الكبير) وحتى السليمانية وكەرميان ومندلي وخانقين وجبال حمرين ضمن منطقة النفوذ البريطاني.

٤ – **التقسيم الرابع**: وهو التقسيم الذي جاءت به معاهدة سيفر (١٠ اب ١٩٢٠) – الخارطة رقم(٣)–[189] وهي المعاهدة التي تمخضت عن مؤتمر السلام، والتي أشارت ضمن ذلك التقسيم الى إنشاء دولة كوردية فوق مساحة صغيرة من أراضي كوردستان، لا تتجاوز ٤٥ ٪من مساحة كوردستان الشمالية (التركية) والمشار إليها في المادة ٦٢ من المعاهدة المذكورة، على ان تضم إليها ولاية الموصل حسب المادة ٦٤، وكما هو واضح في الخارطة. أما مناطق كوردستان الأخرى، فقسمت كما يلي:

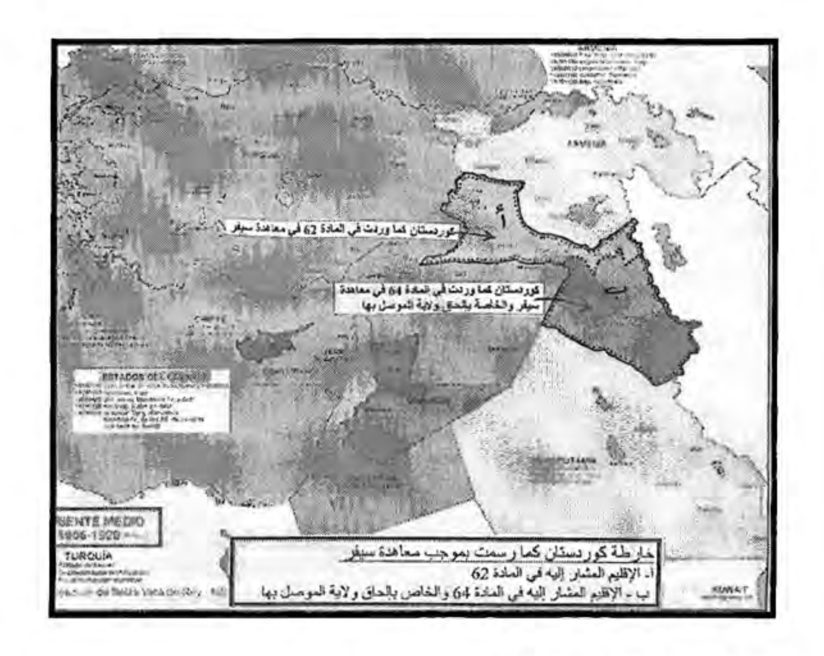
أ– منحت حصة روسيا في معاهدة سايكس – بيكو الى ارمينيا ضمن هذه المعاهدة.

ب– تم تعديل منطقة النفوذ البريطاني بعد إلحاق بهدينان بها والتي كانت في سايكس – بيكو ضمن منطقة النفوذ الفرنسي، وذلك بعد ان اتفقت كل من بريطانيا وفرنسا على هذا التعديل في اتفاق سان ريمو (٢٤ نيسان ١٩٢٠)[190].

---

[189]- للمزيد من المعلومات حول معاهدتي سيفر ولوزان راجع: فؤاد حمه خورشيد، (القضية الكردية في المؤتمرات الدولية)، مؤسسة موكريان،أربيل، ٢٠٠١،ص ص،٤٩-٩١.

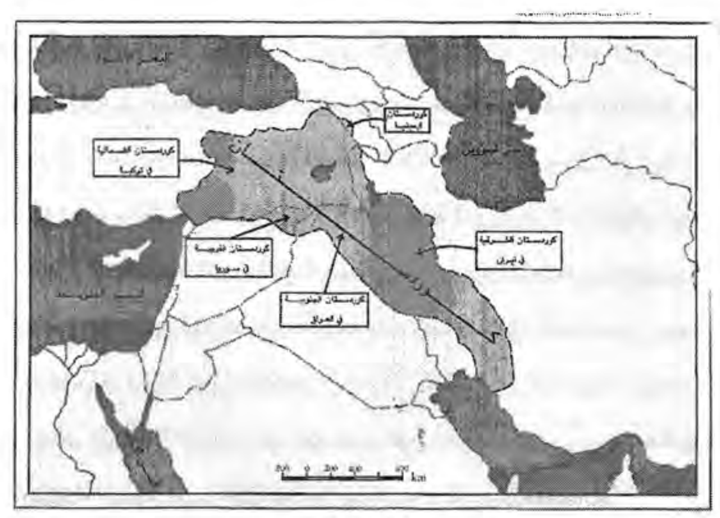
[190]- Sydney Nettleton Fisher , (The Middle East: History) , Routledge of Kegan, London , ١٩٧١ .p.٣٧٠.



٥-التقسيم الخامس:

وهو التقسيم الحالي الذي تعيشه كوردستان والذي نجم عن اثر توقيع معاهدة لوزان بين دول الحلفاء وتركيا الكمالية في ٢٤ تموز من عام ١٩٢٣ والتي حصلت بموجبها تركيا الكمالية (الجمهورية التركية) على الاعتراف الدولي بها، والتي تم تثبيت حدودها الجنوبية مع كل من دولتي العراق وسوريا في أعوام ١٩٢٦ و ١٩٣٠ على التوالي، وبذلك فصلت هذه الحدود كل من كوردستان العراق (الجنوبية) وكوردستان سوريا (الغربية) عن بقية اجزاء كوردستان تركيا (العثمانية السابقة) مثلما فصلت

الحدود العراقية – السورية كورد العراق عن كورد سوريا. انظر الخارطة رقم (٤)



تقسيم كوردستان المعاصر

ان معاهدة لوزان بحد ذاته حالت دون تنفيذ الحلفاء لمعاهدة سيفر، لا لكونها البديل لمعاهدة سيفر وحسب، بل لأنها شكلت اعترافا رسميا و واضحا بحكومة كمال أتاتورك البديلة عن حكومة السلطان المخلوع في تركيا، كما إنها ألحقت، جغرافيا، القسم المشار إليه في البند (٦٢) من المعاهدة المذكورة بأراضي الجمهورية التركية، وأبقت المنطقة المشار إليها في البند(٦٤)، اي ولاية الموصل، ضمن مناطق الاحتلال والانتداب البريطاني، وهذا يعني انه كان بإمكان بريطانيا ان تشكل دولة كوردية في ذلك

الجزء من كوردستان، أي ضمن ولاية الموصل، لكن نواياها السياسية و الإستراتيجية تجاه الأمة الكوردية لم تكن حتى بمستوى الاهتمام الذي منحته الى ملك مطرود من سوريا لتنصبه ملكا على دولة تنشأها على حساب دماء وتضحيات الأمة الكوردية، وتشكيل دولة العراق من دمج ثلاث ولايات لا رابط وحدة أثنية ومذهبية تجمعهم. فخلال الفترة بين١٠ آب ١٩٢٠ (معاهدة سيفر) و٢٤تموز١٩٢٣ (معاهدة لوزان)، كما يذكر أولسن، انتقلت السياسة البريطانية بشأن الكورد، من دعم تكوين دولة مستقلة بحدود متفق عليها، الى التردد في كم من مساحة كوردستان ينبغي ان تضم الى دولة تركيا؟ وكم منها ينبغي ان تضم الى دولة العراق التى صمموا على إنشائها ؟[١٩١] . وهنا يقول جورج انتونيوس صراحة: (ان اسهام البريطانيين في بناء كيان العراق، هو أعظم أحداث إعادة البناء بعد الحرب العالمية الأولى ويمكن القول، دون أي مبالغة، ان دولة العراق الحديث تدين بوجودها على الأكثر الى مجهودات الموظفين البريطانيين).[١٩٢]

إذ (تعبر الفكرة التالية أفضل تعبير عن هذا الواقع: العراق حصيلة نوبة جنونية أصابت تشرشل الذي أراد الجمع بين حقلين للنفط لا يوجد بينهما أي قاسم مشترك ولهذا السبب تم جمع ثلاثة

---

[١٩١]- روبرت أولسون، (تاريخ الكفاح القومي الكردي ١٨٨٠-١٩٢٥)، دار اراس،- الفارابي، ط١، بيروت، ٢٠١٣، ص ١٨٠.

[١٩٢]- George Antonius, (The Arab Awakenings), a paragon-Book, New York, ١٩٧٩, p.٣٦٣.

من الشعوب التي لا يجمعها جامع: الأكراد والسنة والشيعة).[١٩٣] يقول شلومو نكد يمو (كان هذا الوضع جزءا من الأحكام والوضعية التي حكمت بها الدول الكولونيالية، التي رسمت الحدود في المنطقة بين زجاجات الويسكي والكافيار وفقا لأسس وتقديرات باردة ومصالح وحشية تحت تأثير القوة. لقد قامت هذه الدول الكبرى بتمزيق شعوب وقبائل وإيقاع الظلم بالعديد من الشعوب ومنها الشعب الكوردي).[١٩٤] فنوايا المستعمرين السرية كانت تتمحور– كما تقول المس بيل– في إخضاع البلدان الشرقية من دون الالتفات الى أمانيهم القومية[١٩٥] ولعل السبب الذي يكمن وراء عدم الاستقرار السياسي، وكل المشاكل السياسية والقومية، والدماء التي أريقت عبر تاريخ هذه الدولة منذ ان أسسها الانكليز عام ١٩٢١، هو بسبب دمج تلك الولايات المتناقضة الثلاث في تكوينها وتركيبها الاثني.

وكدليل على عدم الاستقرار لهذا التشكيل لهذه الدولة الملكية المصطنعة، كما يصفها كريستوفر كاثرود، (نرى ان عدم الاستقرار السياسي هو السمة الأساسية داخل العراق منذ عام ١٩٢١ ولغاية سقوط ذلك النظام الملكي عام ١٩٥٨، والملام في

---

[١٩٣]- بيار سالنجر و اريك لوران، (حرب الخليج: الملف السري)، دار أزال، بيروت، ط ٧،حزيران ١٩٩١، ص ٢٤.

[١٩٤]- شلومو نكد يمو،(الموساد في العراق ودول الجوار*، ترجمة بدر عقيلي، دار القدس، بيروت،ط٢، ١٩٨٩.

[١٩٥]-- المس بيل، (فصول من تاريخ العراق)، ترجمة جعفر الخياط، ط٢، مطبعة دار الكتب، بيروت،١٩٧١، ص ١٨٥.

هـذا الوضـع المأسـاوي هـو تشرشـل لوحـده. صـحيح ان هنـاك مساهمين آخرين من الضباط والجنود والدبلوماسيين، لذا يصح القول ان بريطانيا، كقوة امبريالية عظمى آنذاك، تتحمل مسؤولية ما حدث من مآسي في الشرق الأوسط خلال تلك الفترة)[١٩٦].

يقول ميشيل بونين: ان كوردستان تشكل أجزاء واسعة من تركيا وإيران والعراق وزاوية من سوريا. صحيح ان الكثير من سياسات هذه الدول الأربعة مكرسة حول الخوف من الوحدة القومية للأمة الكوردية، وكذلك من الخوف من خلق دولة كوردستان الكبرى، وهذين السببين يدفعان هذه الدول مجتمعة الى معارضة تأسيس دولة كوردية منفصلة حتى ولو في أي جزء من أجزاء كوردستان الملحة باي منها.[١٩٧] وهذا يعني ان الدول الأربع هذه، (رغم الهوية الاثنية الكوردية الموحدة للأمة الكوردية)[١٩٨]، لا تتعامل مع أجزاء كوردستان كمستعمرات ملحقة بها، وإنما كغنائم أبدية غير قابلة للاستقلال او الانفصال، متناسية بان دول عديدة في هذا العصر، انشطرت وتحولت الى دولتين او اكثر مثل:

---

[١٩٦]- Constable., London, ٢٠٠٤, p.٢١٧. -Christopher Catherwood,(Winston's Folly: Imperialism and the creation of Modern Iraq).

[١٩٧] - Michael E. Bonine, (The Kurds and Kurdistan: A commentary), Eurasian Geography and Economics, Vol.٤٤, No.١, Jan.Feb. ٢٠٠٣,p.٣٠١.

[١٩٨]- Andre Singer,(The Dervishes of Kurdistan),Asian Affairs,Vol.٦١, part.١١,June,١٩٧٤,p.١٧٩

باكستان و (بنكلادش)، والاتحاد السوفيتي، ورواندا وبوروندي و جيكوسلوفاكيا و يوغوسلافيا و إثيوبيا (واريتريا) والسودان و(جنوب السودان). ومن قبل السويد (الى السويد والدنمرك) والدنمرك (الى الدنمرك وأيسلندة). يقول قيل لورنس: يشكل الكورد وكوردستان اكبر مجموعة أثنية على سطح الأرض ليست لهم دولة مستقلة، فالقوى الأوربية التي قسمت الإمبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى وعدتهم بذلك، لكنها لم تنفذ وعده في إيجاد تلك الدولة لملايين الكورد المنتشرين حول الحدود التي تفصل ألان بين تركيا وإيران والعراق وسوريا. واليوم، ربما يقدر عددهم اكثر من ٢٥ مليون نسمة، لكن في الواقع ليس هناك رقم دقيق لعددهم والسبب في ذلك لان الدول الأربعة لا تعترف بوجودهم.[١٩٩]

الخلاصة و الاستنتاج:

لا تزال كوردستان حتى الوقت الحاضر وطناً مجزءاً، وقد ألحقت أقسامه الرئيسة قسراً بكل من ايران وتركيا والعراق وسوريا وأرمينيا و أذربيجان، وتبعاً لذلك فقد انقسمت الأمة الكوردية الى أقسام يخضع كل قسم منها لسيادة دولة من تلك الدول ويخضع لأنظمتها وقوانينها ويحمل جنسيتها، وقد اثر كل

[١٩٩]- Quil Lawrence,(Invisible Nation),Walker&co.,New York, ٢٠٠٨,p.٣.

ذلك على السياسة الكوردية الموحدة وتوجهاتها وتنظيماتها في تلك الأقسام، لكنه لم يؤثر في شق وحدة الأمة الكوردية وترابط مشاعرها القومية وعلى أهدافها السياسية، لأن الحدود التي تمثل الخطوط السياسية التي تفصل مابين الكورد، والتي رسمت فوق ارض كوردستان، عجزت وتعجز عن فصل أبناء الأمة الكوردية وجدانياً وقومياً.

ان واحدة من ابرز المشاكل التي يواجهها نضال الأمة الكوردية في الوقت الحاضر، جيوبولتيكيا، يمكن في عدم خضوعها لمحتل واحد. فالكثير من الشعوب تحررت لأنها كانت تخضع لمحتل واحد. أما حالة كوردستان فهي حالة نادرة لأنها تخضع لاحتلال خمس او ست دول، وكل دولة من هذه الدول لاتزال غير قادرة على استيعاب الحقيقة القائلة بأن أجزاء كوردستان الملحقة بها هي ليست من صلب أراضيها، وإنما هي أراضي كوردستان المقسمة الملحقة بها قسراً ومن دون ان يستفتي الشعب الكوردي في كل ذلك، وإن الحدود السياسية الحالية التي رسمت لدولهم ليست حدود مقدسة وأبدية، وإنما هي حدود مصطنعة قابلة للتغيير، وهذا التغيير قد يحدث عندما يسمح الوضع الدولي وتتهيأ الظروف الموضوعية، ويحين الوقت المناسب لإعلان هذه الدولة لتنعم كوردستان بحريتها واستقلالها كسائر الدول الأخرى، حتى وان كانت آخر الدول التي ستنشأ على كرتنا الأرضية.

المصادر

أ- العربية:

١- أبو عامود، محمد سعيد (الدولة الكوردية بين الفكر والحلم والواقع)، السياسة الدولية، العدد ١٣٥،يناير، ١٩٩٩.

٢- احمد، كمال مظهر، كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، مطبعة أفاق عربية، بغداد، ١٩٨٤.

٣- الجمهورية العراق، مجلس الوزراء، (دستور جمهورية العراق)، الطبعة الثانية، نيسان، ٢٠٠٦.

٤- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، (تاريخ الطبري)، ج٥، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨.

٥- ادموند، سي. جي (كرد ترك وعرب) ترجمة: جرجيس فتح الله، مطبعة التايمز، بغداد، ١٩٧١.

٦- بافيج، (كردستان والمسالة الكردية)، ترجمة برو، ط١،ص ١٠.

٧- المس بيل، (فصول من تاريخ العراق)،، ترجمة جعفر الخياط،، ط٢، مطبعة دار الكتب، بيروت،١٩٧١.

٨- تونغ, ماو تسي،مختارات ماو تسي تونغ المختارة، مجلد ١، دار النشر باللغات الأجنبية،بكين، ١٩٦٨.

٩- حمـدان،جمال، (الجماهيريـة العربيـة الليبيـة الشـعبية الاشـتراكية العظمى:دراسـة في الجغرافيـة السياسـية) ومكتبـة مدلولي، القاهرة، ١٩٦٦.

١٠- خارطـة كوردسـتان، مطبعـة أليـاس، القـاهرة، ١٩٤٧،الملحق.

١١- خورشيد، فؤاد حمه، (أصل الكورد)،مطابع دار الشؤون الثقافية، بغداد ٢٠٠٣.

١٢- خورشيد،فؤاد حمه، بنكلادش بين الهند والباكستان، جريدة التآخي, العدد ٩٠٩ في ١٢ /١٩٧١/١٢.

١٣- خورشيد،فؤاد حمه،أضواء على حرب الهند وباكستان، جريدة التآخي، العدد٩١٥ في ١٩٧١./١٢/١٩

١٤-خورشـيد، فـؤاد حمـه، (جيوبوليتكيـاي جياكـاني كوردستان)، مجلة(رؤشنبيرى نوىّ)، العدد١٠٦، .١٩٨٥

١٥-خورشـيد، فـؤاد حمه،(الأكراد:دراسـة علميـة مـوجزة)، وطبعة دار الساعة، بغداد، .١٠٧١

١٦-د.كرميـاني (فـؤاد حمـه خورشـيد)، (ديموغرافيـة سـكان كوردسـتان حتـى عـم ٢٠٥٠)،كـولان العربـي، العـدد١٥، ٢٦ آب، ١٩٩٧.

١٧-فـؤاد حمـه خورشـيد، (القضـية الكورديـة في المـؤتمرات الدولية)، مؤسسة موكريان للطباعة والنشر، أربيل، ٢٠٠١.

١٨-دشنر،كونتر، (أحفاد صلاح الدين)، ترجمة عبد السلام مصطفى صديق، اربيل،.١٩٩٢

١٩-راندل،جوناثان،(أمة في شقاق: دروب كردستان كما سلكتها)، ترجمة فادي حمود، دار النهار، بيروت،.١٩٩٧

٢٠-رايت،ه. ا.، (العصر الجليدي البلاستوسيني في كوردستان)،ترجمة فؤاد حمه خورشيد، مطبعة دار الجاحظ، بغداد،١٩٨٦ .

٢١-صلاح سالم زرقونة، (القومية الكوردية: المنشأ والعلاقة مع القوميات المجاورة)، السياسة الدولية، العدد ١٣٥، يناير، ١٩٩٩.

٢٢- زينفون، (حملة العشرة آلاف: الحملة على فارس)، ترجمة يعقوب إفرام منصور، مكتبة بسام، الموصل، .١٩٨٥

٢٣- ستيوارت، دزموند، (تاريخ الشرق الأدنى الحديث)، دار النهار، بيروت، .١٩٧٤

٢٤- سري الدين،عايدة العلي،(المسألة الكردية في ملفات السياسة الدولية)،منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت ط١، ٢٠٠٠.

٢٥- شمدت، دانا ادم، (رحلة الى الرجال الشجعان)، ترجمة جرجيس فتح الله المحامي، مكتبة دار الحياة، بيروت،بدون سنة طبع.

٢٦- عبد الناصر، وليد، (أكراد العراق وتأثير البيئتين الإقليمية والدولية)، السياسة الدولية، العدد١٢٧، .١٩٩٦

٢٧- علي،عثمان،(حكومة بدر خان الكردية والصراع الكردي - الاثوري١٨٤٣-١٨٤٧)، مجلة - ئالاي ئيسلام - العدد٢،مايس-حزيران، ١٩٩٣،السنة.٧

٢٨- علي،عز الدين ابوالفتح،(الكامل في التاريخ) ج٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، .١٩٨٩

٢٩- فشر ا، ل، (تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٨-١٩٥٠)، تعريب احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، دار المعارف، ط ٨، القاهرة، بدون سنة طبع.

٣٠- فيرجريف، جيمس، (الجغرافيا والسيادة العالمية)، ترجمة علي رفاعة الأنصاري ومحمد عبد المنعم الشرقاوي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة،.١٩٥٦

٣١- قمحه، احمد ناجي، (أكراد العراق: الواقع والمستقبل)، السياسة الدولية، العدد ١٢٦، أكتوبر، .١٩٩٦

٣٢- نوار، عبدالعزيز سليمان،(العلاقات العراقية الإيرانية: دراسة في دبلوماسية المؤتمرات)، دار الفكر العربي، القاهرة، .١٩٧٤

٣٣-لازاريف، م.س.، (المسألة الكردية ١٩١٧-١٩٢٣)، دار الرازي، بيروت، ١٩٩١.

٢٤- مينورسكي، ف.ف.، (الأكراد: ملاحظات وانطباعات)، ترجمة د. معروف خەزندار، مطبعة النجوم، بغداد.

٣٥- نكد يمو، شلومو، (الموساد في العراق ودول الجوار)، ترجمة بدر عقيلي، دار القدس، بيروت، ١٩٨٩،

٣٦- نيكيتين، باسيل، (الأكراد: دراسة سوسيولوجية تاريخية)، ترجمة نوري طالباني، ط٣، مؤسسة حمدي، السليمانية.

٣٧-هارولد لامب ,(الآسكندر المكدوني) ترجمة عبد الجبار المطلبي ومحمد ناصر الصائغ , المكتبة الأهلية , بغداد ,١٩٦٥ .

٣٨-هاملتون، أي. أم.، (طريق في كردستان)، ترجمة جرجيس فتح الله، مطبعة دار الجاحظ، بغداد،.١٩٧٣

٣٩- هي. دبليو، آر، (مذكرات دبليوأر. هي)، ترجمة فؤاد جميل، ط٢، الدار العربية للمطبوعات، بيروت، .٢٠٠٨

٤٠- هيلترمان، يوست د.، (قضية سامة: أمريكا والعراق والهجوم الكيمياوي على حلبجة)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، .٢٠٠٨

٤١- يوست ر.هيلترمان، (قضية سامة: أمريكا والعراق والهجوم الكيمياوي على حلبجه)، شركة دار المطبوعات للتوزيع والنشر،بيروت،ط٢٠٠٨،١.

ب- الفارسية:

١- ارفع، حسن، (كردها يه ك بروسي تاريخي وسياسي)، ترجمه نده، محمد رئوف مرادي، نشر آنا،١٣٨٢.

.ج- الإنكليزية:

١. Antonius, George, (The Arab a wakening), A paragon book, New York, ١٩٧٩١

٢- Arfa، Hassan، (The Kurds: An historical and political study)، Oxford University Press، London، ١٩٦٦.

٣- Battle of Chaldiran، Wikipedia، the free encyclopedia.

٤-Blloch, John and Harvey Morris, (No friends but the mountains: The tragic of the Kurds), Oxford University Press, ١٩٩٢.

٥-Bonine, Michael, (the Kurds and Kurdistan: A commentary), Eurasian and Economics, Vol.٤٤, No.١, Jan.-Feb, ٢٠٠٣.

.٦-Braidwood, Robert, and Bruce Howe, (Prehistoric investigations in Iraqi Kurdistan), The University of Chicago Press, Chicago), ١٩٦٠.

٧- Burton، Major H.M. (The Kurds)، Journal of Royal Central Asian society، Vol.XXX١ part ١، January، ١٩٤٤.

٨-Cairncross, Frances, (The death of distance: How the communication revolution will change our life?), Cambridge, M.A. Harvard Business School press, ١٩٩٧.

١٠-Cohen Saul, (Geography and politics in a world divided), Oxford University press, ١٩٦٣.

١١-Elphinston, Colonel W.G., (Kurds and Kurdistan), J.R.C.A.S., Vol. xxxv, part ١, January, ١٩٤٨.

١٢-Catherwood, Christopher, (Winston, s Folly), Constable, London, ٢٠٠٤.

١٣-Curzon, Hon George N., (Persia and Persian Question), Vol.٢, Longmans, Green and Co., London, New York, ١٨٩٢.

١٤- Dahlman, Cart. (The political Geography of Kurdistan)، Eurasian geography and economic, vol.٤٣، no.٤، ٢٠٠٢.

١٥-Derk, Kinnan, (The Kurds and Kurdistan), Oxford University press, London, New York, ١٩٧٠.

١٦-Dodds Klaus، (Geopolitics in changing world) Pearson Education، London، New York، ٢٠٠٠.

١٧- Dodds، Klaus J.، (Geopolitics، experts and the making of foreign policy)، Area، vol.٢٥، No.١ march، ١٩٩٣.

١٨-Edmonds, C.J. (Kurds, Turks, and Arabs) Oxford university press, London, ١٩٥٧.

١٩-Edmonds, C.J. (Kurdish Nationalism), Journal of Contemporary History, Vol.٦, No.١, ١٩٧١.

٢٠- Elphinston, Colonel W.G., (Kurds and Kurdistan question), Journal of R.C.A.S., Vol. XXXV, Part I, January, ١٩٤٨.

٢١-Encyclopaedia Universalis، vol، ٩، ١٩٦٨، and; Encyclopaedia Universalis، Corpus ١٣، ١٩٨٩.

٢٢- Fisher, Sydney Nettleton, (The Middle East: History), Routlidge&Kegonpoul, ٢nd edition, London, ١٩٧١.

٢٤-Friedman, George, (re-examining the Arab spring: political Analysis). In: http//politeianet, World press com.

٢٥-General Staff, Mesopotamia Expeditionary Force, (Military Report on Mesopotamia), (Area ٩), Central Kurdistan, Simla, Government Monotype Press, ١٩٢٠.

٢٦- Fuller, Graham E., (The fate of the Kurds), Foreign Affairs, spring, ١٩٩٢.

٢٧-George، Friedman، (Re.examining the Arab spring)، political Geographical Analyses in:http://politeianet.Word pres com.

٢٨-Glassner، Martin Ira، (Political Geography)، Johnwiley&Son Ibc، New York ،Singapore، ١٩٩٢.

٢٩- Gray, Colin, (The geography of the nuclear era), Crane, Rusak, New York, ١٩٧٧.

٣٠-Gray, Colins S., and Geoffrey Sloan, (Geopolitics, Geography and Strategy), Frank Cass, ١٩٩٩.

٣١- Hansen, Henny Harold (The Kurdish Woman's Life), National Muse, Kobenhavn, ١٩٦١.

٣٢-Harris, George S., (Ethnic conflict and the Kurds), Annals of A.A.P.S.S...vol٤٣٣, September, ١٩٧٧.

٣٣-Henry L. Britton, (international Relations in the Nuclear age) State University of New York ptree, ١٩٨٦.

٣٤- Henry، Smith Williams، Henry Smith، (The historian history of the world)، Vol.٢، ١٤th Edition، New York، ١٩٢٦.

٢٥-Heroduts، (The History) penguin book، ١٩٨٤، pp.٨٠-٩٦. And، George Roux (Ancient Iraq) Applicant book، ١٩٦.

٢٦-Hitchens, Christopher, (Struggle of the Kurds) National Geography, Vol.١٨٢, No.٢, August, ١٩٩٢.

٢٧-Izady، Mehrdad R.، (The Kurds: A concise Handbook)، Taylor&Frances، Washington D.C.، ١٩٩٢

.٢٨-Johston, R.J.and P.J.Taylor, (Aworld in crisis: Geographical Perspectives), Black Well, ١٩٨٩.

٢٩-Kazanecki, Wojciech, (Is Geopolitics a good method of explaining world events? case study of French foreign policy), paper, Institute of international studies, University of ٢٩-Waroclaw _Poland_, ٢٠٠٨.

٤٠-Latham Aran, (What Kissinger was a fraid of Pik paper), New Yorrker, October, ١٩٧٦.

٤١-Lewis, Bernard, (The shaping of modern Middle East), Oxfords University Press, London, ١٩٩٤.

٤٢-Lortz, Michael G., (Willing to face death: A history of Kurdish Military forces٠The Peshmerga from the Ottoman Empire to present day Iraq), the Florida state University, College of Social Science, M.A. Thesis, ٢٠٠٥.

٤٣- Major, Marc R., (No friends but the mountains), Social Education, March, ١٩٩٦, Vol.٦, No.٣.

٤٤-Mackinder, Halford J., The geographical pivot of History, Geographical Journal, Vol.٢٣, ١٩٠٤.

٤٥-Mchaurin, R.D., (The political Role of Minority Gropes in Middle East), New York, ١٩٧٩.

٤٦-Maria T. O,Shia, Between the Map and the reality:some foundmental myth of Kurdish Nationalisim, in, Les Kurds et les Etats, Peuples Mediterraneens, Jullet-DecembreNo.٦,١٩٩٤.

٤٧- Marsh،Dwight W.(، the Tennesseean in Persia and Koordistan (، Philadelphia: presbyterian Board of publication،١٨٦٩.

٤٨-Michael G.lortz,(Willing to face death:A history of Kurdish military forces- The Peshmerga – from the Ottoman Empire to present day Iraq),The Florida State University, College of social science,M.A..Thesis, ٢٠٠٥.

٤٩-Michael E. Bonine, (The Kurds and Kurdistan: A commentary), Eurasian and economics, vol.٤٤, no.١, January-february ،٢٠٠٣.

٥٠-Millingen, Major Frederick, (On the Kurds), Journal of R.A.I., Vol.٢, No.٢, ١٨٧٠.

٥١-Moisi, Dominicue, (The geopolitics of Emotion), Anchor Books, New York, ١٩١٠.

٥٢-Prothero, G.W., (Armenia and Kurdistan), the Havill Press, London, ١٩٢٠.

٥٣-O, Brien, Richard, (Global financial integration: The end of Geography), London, ١٩٩٢.

٤٩-o, Leary, Brend and John McGarry, (The future of Kurdistan in Iraq), University of Pennsylvania Press, Philadelphia, ٢٠٠٥.

٥٠-Olson, Robert, (The Kurdish Question and the Kurdish problem: some geopolitics comparisons), Les Kurdes ET les estats, peuples ---, No.٦٨-٦٩, Juillet-Decsmbre, ١٩٩٤.

٥١-OmcCagg, William, Jr.and Brian D. Silver, (Soviet Asian Ethnic Frontiers), Pergamon press, New York, ١٩٦٠.

٥٢-O shea، Maria T. (Trapped between the map and reality :Geography and perception of Kurdistan)، Routledge ،New York، London، ٢٠٠٤.

٥٣-O،Tuathail، Gearoid، (Understanding Critical Geopolitics: Geopolitics and risk society)، in: Colins S.Gray and Geoffrey Sloan، (Geopolitics Geography and strategy)، Frank Cass، ١٩٩٩.

٥٤- O،Tuathail، Gearoid،and Simon Dalby. (Introduction: Rethinking Geopolitics) in: Rethinking Geopolitics، EDT. Gearoid O Tuathail and Simon Dalby ،London، New York، ١٩٩٨.

٥٥-Ottoman Military، (Battle of Manzikert)، htt//ottoman military، devhub.com.

٥٦-Ramazani, Ruhullah K., (The Kurdish Problem), Quarterly Review, Jan. ١٩٦٧.

٥٧-Rich, Claudius James, (Narrative residence in Koordistan), Vol. I, Second Edition, West mead, ١٩٧٢.

٥٨- Porter، Barry، (Battle of Gaugamela: Alexander versus Darius)، Military History، September ١٧، ٢٠٠٢، at www.history net.com.

٥٩-Prothero, G.W., (Armenia and Kurdistan) the Havill Press, London, ١٩٢٠

٦٠-Riply,)The Races of Europe), London, ١٨٩٩.

٦١-Robinson, H., (Physical Geography), Macdonald and Evans, ٢nd edition, Plymouth, ١٩٧٤.

٦٢-Romano، David، (The Kurdish National Movement: opportunity، mobilization and dentity)، Cambridge University press، New York، ٢٠٠٦

٦٣-Safrastian, Arshak, (Kurds and Kurdistan), London, ١٩٤٨.

٦٤- Semple، Ellen Churchill، (Influences of Geographic Environment on the basis of Ratzel system of Anthropo-Geography)، Kentucky، ١٩١١.

٦٥- Sim, Richard, (Kurdistan: The Search of recognition), Conflict studies, No.١٢٤, November, ١٩٨٠.

٦٦-Singer, Andre, (The Dervishes of Kurdistan), Asian Affairs, Vol.٦١, No. ٢, June, ١٩٧٤.

٦٧-Smith, A.J., (Geology), Hamlyn, London, ١٩٧٤.

٦٨- Soane, Ely Banister, (To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise), Cosimo, New York, ٢٠٠٧.

٦٩- Solecki، Ralf S. (Shanider: the first flower people)، Alfred A. Knopf، New York، ١٩٧١.

٧٠-Spykman, Nicholas John, (The geography of peace), Anchor book, New York, ١٩٤٤.

٧١-Taylor، Pter J. and Colin Flint، (political Geography: Economy Nation-State & locality)، ٤th edition، prentice hall، ٢٠٠٠.

.٧٢- The fall of Nineveh. http//www.livius.org/ne-nn/Nineveh/ninevehol.html،p٢ of ٢.

٧٣-The principle of Geopolitics and the case of the Greek space in south-east Mediterranean, in www.geopolitics-gr/pdf/art-imaz-geo٢en.pdf.

٧٤-The University of Calgary، The Islamic World to ١٩٠٠، Battle of Chaldiran، www.ucalgray.ca

٧٥- The E.J.Brills first Encyclopaedia of Islam ١٩١٣-١٩٣٦، vol، Leiden، New York، ١٩٨٧.

٧٦- Waheed, Major Sheikh, (The Kurds and their Country), Lahore, ١٩٥٨.

٧٧-Watt, D.C., (Survey of international affairs١٩٦١), oxford university press, London, ١٩٦٥.

٧٨-Williams, Henry Smith, (The historian history of the world), Vol.٢, ٤th.Edition, New York, ١٩٢٦.

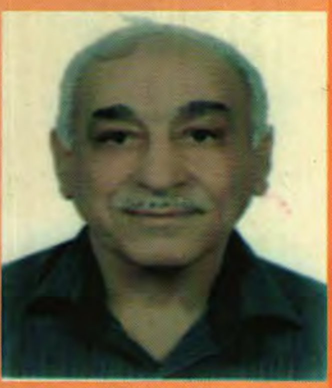
٧٩-Wilson, Sir Arnold T., (Loyalties Mesopotamia١٩١٧-١٩٢٠), Vol.٢, Oxford University press, London, ١٩٣٢.

٨٠-wright,H.E.,(Pleistocene glaciations in Kurdistan),Elsceitaltier und Gegenroaart,Band١٢,spite١٣١-١٦٤,OhringermWurtt,November,١٩٦١.

البروفيسور الدكتور فؤاد حمه خورشيد

كاتب ومحلل سياسي كوردي ,من مواليد١٩٤٣-بغداد.مدرس وباحث علمي في وزارة التربية ببغداد ١٩٦٨-١٩٩٠.أستاذ الجغرافية السياسية في جامعة الانبار- الرمادي ١٩٩٠-١٩٩٥, أستاذ الجغرافية السياسية والجيوبولتكس بجامعة بغداد ١٩٩٥-٢٠٠٣ ,مدير عام دار الثقافة والنشر الكوردية ٢٠٠٣-٢٠٠٩, أستاذ محاضر في جامعتي السليمانية وخانقين بكوردستان٢٠٠٩ ولحد الان. مؤلفاته:١- الأكراد-دراسة علمية موجزة, مطبعة دار الساعة, بغداد, ١٩٧١. ٢-العشائر الكوردية,(ترجمة) م. الحوادث, بغداد,١٩٧٩ ٣- اللغة الكوردية والتوزيع الجغرافي للهجاتها, م. الوسام,بغداد,١٩٨٣,هذا الكتاب مترجم الى اللغات الكوردية والفارسية والانكليزية والسويدية والايطالية. ٤-العصر الجليدي البلاستوسيني في كوردستان,مؤلفه البروفسور ه.أ.رايت (ترجمة),مطبعة الجاحظ, بغداد,١٩٨٦. ٥-الكرد في المصادر القديمة , للأستاذ ج.ر.درايفر,(ترجمة) ,مطبعة الديواني,بغداد,١٩٨٦. ٦-القضية الكوردية في المؤتمرات الدولية, مطبعة موكريان,اربيل,٢٠٠١. ٧-أصل الكورد ,مطبعة دار التآخي, ط١ ,٢٠٠٣, و ط٢,مطبعة .سه رده م , السليمانية,٢٠١١. ٨-كركوك قلب كوردستان,وزارة الثقافة,

كوردستان,٢٠٠٥,وهذا الكتاب مترجم الكوردية،مطبعة المنارة, اربيل, ٢٠٠٧. ٩- الجنرال شريف باشا,(هذا الكتاب باللغة الكوردية) ,مطبعة دار الشؤون الثقافية,بغداد,٢٠٠٧. ١٠- الجيوبولتيك وجمهورية كوردستان الديمقراطيةعام١٩٤٦, مطبعة دار الشؤون الثقافية,بغداد, ٢٠٠٨. ١١-الجيوبولتيك :المفهوم والتطبيق, مطبعة دار الشؤون الثقافية,بغداد, ٢٠٠٩. ١٢- أصل الكورد واللغة الكوردية,مطبعة سه رده م ,السليمانية,٢٠١٢.وهذا الكتاب.



قال السير هالفورد ماكندر:)ان لكل قرن منظوره الجيوبوليتيكي الخاص(.

ولما كان علم الجيوبوليتكس يتطور، في تحليلاته، ويتوالف مع سمات العصر وتقلباته وتغيراته، ويرفض الفرضيات الجامدة، او الثابتة، في التحليل الجيوبوليتيكي، فان الفرضيات التي قد تصلح في زمن معين قد، لا تصلح للتحليل في زمن آخر، فعلى سبيل المثال أفرزت لنا الجيوبولتيكس الكلاسيكية جملة من المصطلحات الخاصة بهذا العلم لفترة الحرب الباردة)5491- (1990مثل: القوة البحرية، والقوة القارية، ودول بحرية، ودول قارية، وقلب الأرض، ومنطقة الأطراف، والشرق والغرب، والحرب بالنيابة والتي لم يعد بالإمكان استخدامها الآن في التحليلات الجيوبولتيكية لأنها لا تتوافق ومتطلبات التحليل المعاصر بسبب جملة من التغيرات الجذرية التي حصلت في السياسة الدولية وأقطابها وأقاليمها الجيوبولتيكية، وذلك لسببين:

-1ان سقوط جدار برلين عام 1989 اسقط معه كل الفرضيات الجيويوليتيكية القديمة وحولها الى جغرافية تاريخية.

-2بفعل التكنولوجيا وثورة المعلومات أصبحت الجغرافية لوحدها لا تضمن الأمن، كما ان الأمن لا يتأتى من القوة العسكرية لوحدها.

هناك الآن في الأوساط الأكاديمية في اوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، و دول أخرى ثورة حقيقية لبلورة فرضيات جديدة لما اخذ يعرف بالجيوبوليتكس النقدي الأكثر صلاحية للتحليل الجيوبوليتيكي المعاصر والذي هو منهج هذا الكتاب.

